DOI: https://doi.org/10.54809/jkss.vi11.361
گۆڤاری کوردستانیی بۆ لێکۆڵینەوەی ستراتیجیی
Copyright © Open access article with CC BY-NC-ND 4.0

مصادر سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) عن الكرد في كتابه مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

م. عبدالخالق عبدالله عثمان
قسم التأريخ _ فاكلتي الآداب – جامعة سوران
abdulkhalq.othman@soran.edu.iq

استاذ فرست مرعي اسماعيل
قسم التأريخ – كلية العلوم الانسانية ـ جامعة زاخو
firsat.ismail@uoz.edu.krd

ملخص البحث:

يعد كتاب «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي، من الكتب المهمة في التاريخ والتراث الإسلامي، وتضمن في طيّاته تاريخ الكرد أيضا. تكمن أهميّة هذا الكتاب في المصادر التي اقتبس منها المؤلف، حيث استخدم بعض المصادر التي عاش مصنّفوها الحدث أو كانوا قريبين منه، كما استخدم المصادر المحلية الخاصة بكل بلد، فأخذ تاريخ العراق من مؤرخيه، وتاريخ الشام من مصنّفات أهله، وكذلك بالنسبة لمصر. كما استخدم عددا من المصادر المفقودة، واحتوى كتابه على بعض الأحداث التي رآها وشاهدها بنفسه؛ فصار فيها شاهد عيان، وبعضها سمعها مشافهة. بالإضافة الى الوثائق؛ وهي قليلة جدا بالنسبة للمصادر الأخرى. وفي هذا البحث نسلّط الضوء على تلك المصادرالتي تتعلّق بتاريخ الكرد، ونوضح نوعية تلك المصادر وأقسامها، وكيفية اقتباسه أو استخدامه المصدر بمقارنته بالمصادر الأصلية المعروفة.

الكلمات الافتتاحية: مرآة الزمان، المصادر المدوّنة، المشافهة، المشاهدة، الوثائق.

Recieved: 23/11/2023
Accepted: 16/2/2024

E-ISSN: 2790525-X
P-ISSN: 27905268

المقدمة

يعد يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله شمس الدين أبو المظفر التركي البغدادي الحنفي والمعروف بسبط ابن الجوزي (أبو شامة،١٩٩٧، ص١٩٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣ص١٤٢) (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) من أبرز علماء القرن السابع الهجري، وعلى الرغم من كونه تخصص واشتهر بالدين والوعظ والتاريخ؛ إلا أنه تميّز أيضا بغزارة الانتاج العلمي في فنون كثيرة، لكن كتابه «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان»، أضاف إلى شهرته شهرة، وإلى تميزه أصالة، فهذا الكتاب يعتبر أروع ما كتب في التاريخ في عصره، ابتدأ فيه منذ بدء الخليقة وإلى سنة وفاته بحسب النظام الحولي.

حاز الكتاب على اهتمام العلماء والمؤرخين، واكتسب مكانة كبيرة تتجلّى في كثرة الذيول والمختصرات عليه، فقد ذيّل قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي اليونيني (ت٧٢٦هـ/١٧٢٥م) في أربع مجلدات، واختصره بعد اليونيني مؤرخ يعرف بابن أبي الرجال، وكذلك اختصره محمد بن شادشاه بن بهرام شاه (حاجي خليفة، ١٩٤١، ج٢ص١٦٤٧) وذيّل عليه آخرون أيضًا، ولا عجب في ذلك فقد نال الكتاب ثناء واستحسان المؤرخين السابقين والمحدثين أيضًا، وفي ذلك يقول ابن خلكان: وصنّف تاريخًا كبيرًا رأيته بخطه في أربعين مجلدًا(وفيات الأعيان، ج٣ص١٤٢).

يقول اليونيني في وصف الكتاب: أجمعها مقصدًا، وأعذبها موردًا وأحسنها بيانًا، وأصحها رواية (ذيل مرآة الزمان، ج١ص٢). ويقول ابن تغري بردي أيضًا: هو من أجلّ الكتب في معناها، ونقلتُ منه في هذا الكتاب معظم حوادثه (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧ص٣٩)، ومع هذا الثناء والاستحسان، تعرض للنقد أيضًا وأبرز من نقده هو الذهبي حيث قال: وألّف كتاب مرآة الزمان فتراه يأتي بمناكير الحكايات، وما أظنه بثقة فيما ينقله، بل يخسف ويجازف، ثم أنه ترفَّض(ميزان الاعتدال،١٩٦٣، ج٤ص٤٧١) وأيده في ذلك ابن حجر العسقلاني(لسان الميزان،٢٠٠٢، ج٦ص٣٢٨) وآخرون.

أما المؤرخون المعاصرون فيقول شاكر مصطفى: مع أنه يمكن أن يعتبر أكبر التواريخ الإسلامية حجمًا، وقد يوازي أو يزيد على تاريخ الإسلام للذهبي، إلا أن قيمته العلمية متفاوتة، فالأقسام الأولى وحتى القرن الرابع؛ لا يأتي بجديد، ولكن اعتماده على مصادر مفقودة في القرنين الرابع والخامس خاصة؛ يجعل للكتاب قيمة هامة في هذين القرنين، ثم يفقد هذه القيمة في القرن السادس؛ لتوفر المصادر التي أخذ عنها، ثم يعود في أخبار عصره فيأخذ شأنه كشاهد على العصر، وخاصة في أحداث الشام (شاكر مصطفى، ١٩٨٣، ج٢ص٢٦١).

عموما فإن كل عمل يقوم به الانسان معرّض للنقص والخطأ، فالكمال لله وحده، وكتاب «مرآة الزمان» أيضًا ربما فيه أخطاء أو هنات قليلة؛ لا تقلل من قيمة الكتاب كمصدر مهم من مصادر التاريخ والتراث الإسلامي، وبالنسبة لتاريخ الكرد فقد احتوت صفحات الكتاب على أخبار وأحداث مهمة، خاصة في عصر الإمارات الكردية، أو في العصر الأيوبي، وربما ذكر روايات لم ترد إلا في تاريخه؛ مثل مشاركة الكرد في معركة ملاذكرد، بين المسلمين والروم البيزنطيين سنة (٤٦٣هـ/١٠٧١م)، كما تطرق إلى دور بعض وزراء الدولة المروانية، وبعض الروايات عن شجاعة وذكاء الأمير بَدْرِ بْنِ حَسْنُوَيْهِ، كما كان شاهد عيان على بعض الأحداث المهمة في العصر الأيوبي؛ إضافة الى سماعه لروايات أخرى من أصحاب الحدث، واعتمد في كتابه على مصادر متعددة ومتنوعة، وحسب الروايات والأحداث التي يوردها، وتمّ تقسيم البحث على النحو الآتي:

أولًا/ المصادر المدونة وتشمل (أ) المصادر المعلومة، و(ب) المصادر المجهولة أي: الكتب المفقودة والتي نقل منها سبط ابن الجوزي.

ثانيًا/ الروايات الشفهية، وتشمل (أ) روايات عن الملوك والأمراء والوزراء، (ب) روايات عن العلماء والشعراء، (ج) رويات أخرى.

ثالثًا/ المشاهدة الميدانية. وتشمل (أ) المشاهدة الميدانية في الجهاد ضد الصليبيين، (ب) مشاهداته الميدانية في حوادث أخرى.

رابعًا/ الوثائق.

ومـن المعلـوم أن إشـارات السـبط إلى المصـادر التـي اقتبـس منهـا كانـت بصيـغ مختلفـة، وفي الأكـثر يشـير إلى اسـم المؤلـف، وقليـلاً يشـير إلى اسـم الكتـاب، إضافـة إلى أنـه اسـتخدم أكـثر مـن كتـاب لمؤلـف واحـد، لذلـك ارتأينـا أن نذكـر اسـم المؤلـف أولًا، ثـم نذكـر اسـم الكتـاب الـذي اقتبـس منـه الـكلام، وكيفيـة الاقتبـاس.

مَصَادِرُ سِبْطِ ابن الجَوْزِيِّ:

تنوَّعـت مصـادر سِـبْطِ ابـن الجَـوْزِيِّ وتعـدَّدت كغـيره مـن مؤرِّخـي القـرن السَّـابع الهجـريِّ، وفي الحقيقـة هـذا التنـوُّع يضفـي نوعـا مـن الدِّقَّـة والمصداقيَّـة عـلى نتاجـه العلمـيِّ أوَّلًا، كـما يبـين الجهـد الكبـير المبـذول مـن قبلـه في بنـاء مادتـه التَّاريخيَّـة ثانيـا، وهـذه المـوارد والمصـادر عـلى كثرتهـا في ذلـك الوقـت عـلى نوعـين: فهـي إمَّـا مصـادر مبـاشرة؛ والمقصـود بهـا: نقـل الخـبر مبـاشرة، أو حيًّـا مـن خـلال المشـاركة في الحـدث، سـواء أكان عـن طريـق مشـاهدة الحـدث ومعاينتـه، أو عـن طريـق السـماع مـن أنـاس ثقـات؛ تتوفـر فيهـم الـشُّروط الخاصَّـة بالعدالـة والدِّقَّـة والضَّبـط؛ وهـو مـا يطلـق عليـه المؤرِّخـون بالمشـافهة، أو تكـون مصـادر غـير مبـاشرة، وهـي: المصـادر المكتوبـة أو المدوَّنـة سـواء أكانـت كتبـا ومؤلَّفـات، أو وثائـق تاريخيَّـة.

أوَّلًا_ المصادر المدوَّنة:-

وتعتـبر الأسـاس الـذي اعتمـد عليـه سِـبْط ابـن الجَـوْزِيِّ في كتابـه «مـرآة الزمـان»، وهـي كثـيرة وتتنـوَّع وفقـا للحقبـة التَّاريخيَّـة التـي أرَّخ لهـا، أو الحـدث الـذي أشـار إليـه، والموضـوع الـذي تناولـه، بـين كتـب تاريخيَّـة، وهـي: الأكـثر اسـتخداما، وتتمثَّـل في التَّواريـخ العامَّـة والمحليَّـة، وكتـب الأنسـاب والأخبـار والتَّراجـم وتواريـخ الخلفـاء الـخ.. أو كتبـا أخـرى متعلِّقـة؛ مثـل: الجغرافيَّـة واللُّغَـةِ والمعاجـم والدَّوَاوِيْـنِ، وغيرهـا.

ومـن المعلـوم إنَّ إشـارات السِّـبْط الخاصَّـة بتلـك المصـادر التـي اقتبـس منهـا، اتَّخـذت أشـكالا وصيغـا مختلفـة؛ فلـم يلتـزم بصيغـة واحـدة، فمثـلاً تـارة يذكـر اسـم المُؤلِّـف مثـل: (وقـال ثَابِـتُ بـنُ سِـنَانٍ)، أو: (قـال الهَيْثَـمُ بـنُ عَـدِيٍّ)، وقـد يذكـر اسـم الشُّـهرة أو اللقـب، مثـل: (قـال ابـن شـدَّاد) أو: (ذكـره ابـن شـدَّاد)، ونـادرا مـا يذكـر اسـم الكتـاب، فمثـلا يقـول: (قـال العـماد، في «الخريـدة»)، أو: (قـال جـدِّي في «المنتظـم»)؛ لذلـك ولأنَّـه أيْضًـا ربَّمـا اسـتخدم أكـثر مـن كتـاب لمُؤلِّـف واحـد؛ ارتأينـا أنْ نذكـر اسـم المُؤلِّـف، ومـن ثـمَّ نذكـر اسـم الكتـاب الـذي اقتبـس منـه، وكيفيَّـة اقتباسـه.

أ_ المصادر المعلومة.

١_ ابن سعد (ت٢٣٠هـ - ٨٤٤م)

مُحَمَّـدُ بـنُ سَـعْدِ بـنِ مَنِيْـعٍ، أبـو عبـد اللـه، مـولى بنـي هاشـم، كَاتِـبُ الوَاقِـدِيِّ. صنَّـف كتـاب «الطَّبقـات»، ذكـر فيهـا: الصَّحابـة والتَّابعـين واللذيـن بعدهـم إلى زمانـه، تُـوُفِّي وهـو ابـن اثنـين وسـتِّين سـنة(الخطيب البغـدادي،١٩٩٦، ج٣، ص٢٦٦؛ ابـن الجـوزي، ١٩٩٢، ج١١، ص١٦١؛ السبط،٢٠١٣، ج١٤، ص٤٠٩)

نقـل السِّـبْط(السـبط،٢٠١٣، ج٥، ص٢١٤) عنـه روايـة واحـدة حـول فتـح المـدن الكُرْدِيـة؛ الجزيـرة، مَيَّافَارِقِـيْن، وآمِـد، وأَرْمِيْنِيَـةَ في عهـد عُمَـرَ بـنِ الخَطَّـابِ، ويقـول: مـات وخيلـه عـلى الرَّيِّ(ابـن سـعد، ١٩٩٠، ج٣، ص٢١٤) وعبارتـه مطابقـة لعبـارة ابـن سـعد، مـع تقديـم أو تأخـير.

٢_ خَلِيْفَةُ بنُ خَيَّاط (ت٢٤٠هـ-٨٥٥م)

خَلِيْفَـةُ بـنُ خَيَّـاطِ بـنِ خَلِيْفَـةَ بـنِ خَيَّـاطٍ العُصْفُـرِيُّ المعـروف بشـبيب(ابن النديـم،١٩٩٧، ص٢٨٤) وقيـل: شَـبَاب(المزي،١٩٨٠، ج٨، ص٣١٤؛ الذهبـي، ١٩٩٣، ج١٧، ص١٥٢)، أبـو عَمْـرٍو البَـصْرِيُّ الحافـظ، صنَّـف كتـاب «التَّاريـخ» و«الطَّبقـات» وكتـاب «طَبَقَـاتِ القُـرَّاءِ»، ومصنَّفـات أخـرى.

اعتمـد عليـه السِّـبْط في ثـلاث روايات(السـبط، ٢٠١٣، ج٥، ص٢٧٢)؛ الأولى: حـول فتـح حَـرَّانَ وَالرُّهَـا، حيـث نسـب خليفـة،

فتحهما(خليفة بن خياط، ١٩٧٦، ط٢، ص١٣٩) إلى أبي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ (٥٢هـ - ٦٧٢م)، أمَّا الرِّوايتان الأخريان(السبط،٢٠١٣، ج١٢، ص٧٦-٧٨)؛ حول أبي مُسْلِمٍ الخُرَاسَانِيِّ (١٣٧هـ-٧٥٤م)، فالأولى: حول كتاب أبي جَعْفَرٍ المَنْصُوْرِ (١٥٨هـ-٧٧٥م)، وقوله له: احتفظ بما في يدك من مال عبد الله بن علي (١٤٧هـ- ٧٦٤م)، مما أثار غضبه وعزم على التَّوجُّه إلى خُرَاسَانَ(خليفة بن خياط، ١٩٧٦، ص٤١٥-٤١٦). أمَّا الرِّواية الثَّانية: حول زيارته لأبي جعفر، ومادار بينهما من حوار؛ فالرِّوايتان: الأولى: حول فتح المدن، والثَّانية: حول أبي مسلم، وكتاب أبي جعفر قد نقلهما نصًّا تقريبا، أمَّا الرِّواية التي تتكلَّم عن زيارته لأبي جعفر؛ فلم أجد هذا الكلام في «تاريخ» خليفة بن خياط.

٣- ابن قُتَيْبَةَ الدِّيْنَوَرِيُّ (٢٧٦هـ - ٨٨٩م)

عَبْدُ اللهِ بنُ مُسْلِمِ بنِ قُتَيْبَةَ أبو مُحَمَّد الدِّيْنَوَرِيُّ المَرْوَزِيُّ، الكَاتِبُ، سكن بغداد وحدّث بها كان عالمًا ثقة فاضلا وهو صاحب التَّصانيف المشهورة. تُوُفِّي سنة (٢٧٦هـ - ٨٨٩م) على الأرجح(الخطيب البغدادي،١٩٩٦، ج١٠ ص١٦٨؛ ابن الجوزي ،١٩٩٢، ج١٢، ٢٧٧). نقل عنه السِّبْط رواية واحدة عن مدينة حَرَّانَ؛ حيث يقول: (إن أوَّل من بنى هذه المدينة؛ أخوان لإبراهيم؛ يقال لهما: هاران- وبه سميت «حَرَّانَ»)(ابن قتيبة الدينوري ،١٩٩٢م، ص٣١؛ السبط ،٢٠١٣ ، ج١، ٣٨٠).

٤- البَلَاذُرِيّ (٢٧٩هـ- ٨٩٢م)

أَبُو بَكْرٍ أحمد بنُ يَحْيَى بنِ جَابِرٍ البَغْدَادِيّ المعروف بالبَلَاذُرِيّ، صاحب «التَّاريخ الكبير». كان كاتباً بليغا، يقال: بأَنَّه وسوس في آخر عمره؛ بسبب شربه للبَلَاذُر(بلاذر: ٢٠٠٨م، ج١، ٢٣٧)، له كتاب «أنساب الأشراف» وغيره. نقل عنه السِّبْط خمس روايات(سبط، ٢٠١٣، ج١٢، ص٦٣- ٧١- ٧٢- ٧٩- ٨٦)وكلها حول أبي مُسْلِمٍ ، الأولى: في أسر عبد الصمد بن علي (١٨٥هـ-٨٠٠م)، وإرساله إلى أبي جعفر، والثَّانية: عندما بعث أبو جعفر، مرزوق أبا الخصيب، إليه ليحصي أموال عبد الله، والأخرى: حول الكتاب الذي بعثه أبو مسلم، إلى أبي جعفر. أمَّا الرَّابعة: فهي لاستعداد أبي جعفر المنصور؛ لقتل أبي مسلم، من خلال استدعائه إليه؛ والرِّواية الأخيرة: حول اعتراف أبي جعفر المنصور، وقوله: بأَنَّه أخطأ ثلاث مرَّات، ووقاه الله شرَّها؛ إحداها: قتل أبي مُسْلِمٍ الخُرَاسَانِيِّ، وحولي من يقدِّم طاعته على طاعتي؛ فلو وثبوا بي لذهبتُ ضياعا(البلاذري، ١٩٩٦، ج٤، ص١٠٨)؛ أمَّا كيفيَّة اقتباسه: فالرِّوايتان الأولى والثَّانية قد نقلهما بالنصِّ تقريبا. أمَّا الرِّواية الثَّالثة فقد نقل منها مقتطفات من رسالة أبي مسلم، إلى أبي جعفر المنصور. والرِّواية الرَّابعة فقد أخذ معناها واختلفت صياغتها. والرِّواية الخامسة نقلها نصًّا.

٥- ابن أبي الدُّنْيَا(٢٨١هـ - ٨٩٤م)

عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّد بنِ عُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ بنِ قَيْسٍ القُرَشِيُّ مَوْلَاهُمُ، مولى بني أميَّة أبو بكر المعروف بابن أبي الدنيا(الخطيب البغدادي، ١٩٩٦، ج١١، ص٢٩٣؛ ابن الجوزي،١٩٩٢، ج١٢، ص٣٤١) ولد في بغداد. روى عنه السِّبْط رواية واحدة عن أبي مُسْلِمٍ، حيث روى: (أَنَّ إبراهيم الصَّائغ (

)، الذي قتله أبو مسلم، قد رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي مغفرة بعد مغفرة، فقيل له: ما فعل أبو مسلم؟ فقال: هو في مِقْلَى من النَّار يُقلَى فيه)(سبط،٢٠١٣، ج١٢، ص٨٤)، هذه الرِّواية شطرها الأوَّل موجود، عند ابن أبي الدنيا(ابن أبي الدنيا، ١٩٩٠م، ص٧٨).أمَّا فيما يخص أبا مسلم، وهو في مِقلَى من نار؛ فلم أجده عنده، لكن عند ابن عساكر(ابن عساكر ، ١٩٩٥، ج ٣٥، ص٤٢٨).رواية قريبة من هذه الرِّواية، رواها هو أيْضًا عن ابن أبي الدنيا، فربما أخذها السِّبْط منه.

٦- أبو حَنِيفَةَ الدِّيْنَوَرِيُّ (٢٨٢هـ - ٨٩٥م)

أحمد بنُ دَاوُد، من أهالي الدِّيْنَوَر. تِلْمِيْذ ابن السَّكِّيت، أَلَّف في اللُّغَةِ والنَّحو والهندسة والهيئة والوقت والتَّاريخ،(ابن النديم، ١٩٩٧، ص١٠٦؛ الذهبي، ١٩٨٥، ج١٣، ص٤٢٢). أخذ عنه السِّبْط روايتين: إحداهما: حول أرض الجزيرة، حيث قال: إنَّ سام؛ متولِّي أمر ولد نوح عليه السلام، كان يُصيّف في الجزيرة والموصل(سبط، ٢٠١٣، ج١، ص٣٣٥-٣٣٨)، ويشتي() بأرض العراق بمكان يقال له: جوخى(). والرِّواية الثَّانية التي نقلها السِّبْط عنه هي رواية عن أصل الكرد، وهي الرِّواية الأسطوريَّة التي تتحدَّث عن الضَّحَّاك(أبو حنيفة الدينوري، ١٩٦٠، ص٢و٥.) والرِّوايتان المنقولتان منه؛ اختصرهما

السِّبْط فذكر جزءًا منهما.

٧- ابن حوقل (٣٦٧هـ - ٩٧٧م)

أبو القاسم مُحَمَّد بن حوقل، أو مُحَمَّد بن علي النَّصِيْبِيُّ، والنَصِيْبِيْني الموصلي البَغْدَادِيّ. ولد في نَصِيْبِيْن له كتاب صورة الأرض أو (المسالك والممالك)(كشف الظنون، ١٦٦٤/٢؛ كراتشكوفسكي،١٩٥٧،ج١، ص٢٠٠)، نقل عنه سِبْط ابن الجَوْزِيِّ، روايتين(سبط، ٢٠١٣، ج١، ص٩١-٩٦.): الأولى: حول جبل اللُّكَّام، حيث يقول: هو الفاصل بين الثَّغرَين، يعني: الشَّام والجزيرة، الخ وقد نقلها نصًّا مع تقديم وتأخير في بعض الفقرات. أمَّا الرِّواية الثَّانية: فهي حول قلعة مَارِدِينَ، وقد نقلها منه نصًّا(ابن حوقل، ١٩٣٨، ج١، ص١٦٨-٢١٤)

٨- الجَوْهَرِيُّ (٣٩٣هـ - ١٠٠٣م)

إسماعيل بنُ حَمَّادٍ الجَوْهَرِيُّ أَبُو نَصْرٍ الفَارَابِيُّ(ياقوت الحموي، ١٩٩٣م، ج٢، ص٦٥٦؛ القفطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٨٢، ج١، ص١٢٣). قيل: أَنَّه كان من فرسان الكلام، وأعاجيب الدنيا، له كتاب «الصِّحاح» من أمَّهات الكتب في اللُّغَةِ، وقيل أَنَّه اختلط آخر عمره. نقل عنه السِّبْط أربع روايات(سبط، ٢٠١٣، ج١، ص٦٠_ ص٦١_ ص٨١_ ص١٢٣) عن المدن الكُرْدِية، منها: نَصِيْبِيْن، فيقول: ذكرها الجَوْهَرِيُّ، وقال: نَصِيْبِيْن بلد. وهو نص الفقرة الموجودة في «الصِّحاح»، وكذلك بالنسبة للرواية الثَّانية حول مَنْبِجٍ، فنقل نص الفقرة، وكذلك بالنسبة لحَرَّانَ، فقد ذكر النص، وبالنسبة للرواية الأخرى حول نهر دجلة، إذ يقول: دجلة نهر بغداد(الجوهري،١٩٨٧ ،ج١، ص٢٥٥_ ص٣٤٣، ج٢، ص٦٢٧_ ص٤٦١، ج٤، ص١٦٩٥.)، وهو النص نفسه الموجود عند الجَوْهَرِيّ، النصوص المقتبسة من الجَوْهَرِيّ كلها فقرات قصيرة فنقلت نصًّا.

٩- الخَطِيْبُ البَغْدَادِيُّ (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)

الخَطِيْبُ أَبُو بَكْرٍ أحمد بنُ عَلِيِّ بنِ ثَابِتٍ بن أحمد الحافظ المعروف بالخَطِيْب البَغْدَادِيّ. ولد سنة (٣٩٢هـ - ١٠٠١م)(سبط، ٢٠١٣، ج١، ص١٢٣، ج٢، ص٦٦-٦٧، ج١٨، ص١٦٣.)، له المصنَّفات العديدة والمفيدة، ، لكنَّ كتابه «تاريخ بغداد»، هو الأشهر، ومع أَنَّ اسمه تاريخ بغداد، لكنَّه يصنِّف ضمن كتب التَّراجم، وقد ترجم فيه لكل من ولد ببغداد أو دخلها أو سكنها، وقد أصبح الكتاب مصدرا مهمًّا للمؤرِّخين الذين جاءوا بعده، وسِبْطِ ابن الجَوْزِيِّ واحد منهم؛ حيث اقتبس منه: خمس روايات(سبط، ٢٠١٣، ج١، ص١٢٣، ج٢، ص٦٦-٦٧، ج١٨، ص١٦٣): روايتان: حول حفر نهر دجلة، من قبل دانيال، مع الفرات، وكيفيَّة الحفر وقد نقل النص مع تغيير طفيف في بعض العبارات أو الألفاظ. وكذلك اقتبس روايتين لترجمة أبي مُسْلِمٍ ؛ الأولى: حول اسمه، والرِّواية الثَّانية: حول ولادته ووصيَّة والده به إلى: عيسى بن موسى السرّاج() وكيفيَّة تغير اسمه وكذلك زواجه، وقد نقل السِّبْط منه مقتطفات حول ذلك، وعباراته مطابقة تماما لعبارات تاريخ بغداد. أمَّا الرِّواية الخامسة فهي حول ترجمة عبد الصمد بن عمر بن مُحَمَّد بن إسحاق أبو القاسم الدِّيْنَوَرِيّ(٣٩٧هـ-١٠٠٦م)، نقل عنه رواية عن زهده. وعباراته مماثلة تقريبا كما ورد في تاريخ بغداد(الخطيب،١٩٩٦،ج١، ص٣٦١-٣٦٢، ج١١، ص٤٤٥-٤٦١، ج١٢، ص٣١٠).

١٠- ابن الجَوَالِيْقِيّ (٥٤٠هـ - ١١٤٥م)

مَوْهُوْبُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ الخَضِرِ الجواليقي أبو منصور بن أبي طاهر البَغْدَادِيّ إِمَامُ الخَلِيْفَةِ المُقْتَفِي ولد سنة (٤٦٦هـ - ١٠٧٣م) له عدة مصنفات منها كتاب المعرّب من الكلام الأعجمي، وغير ذلك(كمال الدين الانباري، ١٩٨٥م، ص٢٩٣؛ ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٨، ص٤٦؛ ياقوت الحموي، ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٢، ص٧٣٦.).والكتاب يذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي. وقد أخذ سِبْط ابن الجَوْزِيِّ من هذا الكتاب روايتين فيما يتعلَّق بالمدن الكُرْدِية(سبط، ٢٠١٣، ج١، ص٥٨-٦١): الأولى: حول مدينة حُلْوَانَ حيث يقول: مدينة من مدن العجم(ابْنُ الجَوَالِيْقِيِّ، ١٩٩٠م، ص٢٦٨). أمَّا الرِّواية الثَّانية: فهي حول مدينة حَرَّانَ حيث يقول: وذكرها ابن الجَوَالِيْقِيِّ، فقال: حَرَّان اسم البلدة معربة وهي مسماة بـ هاران بن آزر أخي إبراهيم(ابْنُ الجَوَالِيْقِيِّ، ١٩٩٠م، ص٢٧٠). وقد نقلها منه نصًّا.

١١-ابن القَلاَنسِيِّ (٥٥٥هـ - ١١٦٠م)

ابـن القَلاَنـسِيِّ حَمْـزَةُ بـنُ أَسَـدِ بـنِ عَـلِيٍّ التَّمِيْمِـيُّ أبـو يعـلى المعـروف بابـن القَلاَنـسِيِّ الصاحـب العميـد، ولـد سـنة (٤٦٣هـ_١٠٧٠م). صنَّـف تاريخـا للحـوادث بعـد سـنة (٤٤٠هـ - ١٠٤٨م)، إلى حـين وفاته(ابـن عسـاكر، ١٩٩٥، ج١٥، ص١٩١؛ الذهبـي، ١٩٩٣، ج٤٢، ٣٣٦)، واسـمه: المذيـل في تاريـخ دمشـق، جعلـه تذييـلا عـلى تاريـخ هـلال بـن المحسـن الصَّـابِي (ت ٤٤٨هـ-١٠٥٦م) الـذي ينتهـي سـنة (٤٤٨هـ - ١٠٥٦م)، ويبـدو أَنَّـه قـد أعجـب بـه فقـرر أنْ يبنـي هـذا المذيـل عـلى السـنة التـي انتهـى إليهـا الصَّابِي(شـاكر مصطفـى، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٣٨)، هـذا الكتـاب كان مـن المصـادر الأساسـيَّة التـي اعتمـد عليهـا السِّـبْط في سـبط، ٢٠١٣، وبالنسـبة فيـما يتعلَّـق بموضوعنـا اقتبـس ثـلاث روايـات منه(سـبط، ٢٠١٣، ج١٩، ص٢٣٩، ج، ١٩ص٤٥٢، ج٢٠، ص٤٤٨)؛ الأولى: حـول معركـة ملاذكـرد أو مَنَازْكِـرْد()، ونقـل عنـه في روايـة عـدد عسـكر صاحـب الـروم وعسـكر السـلطان حيـث نقلهـا نصًّـا وعلَّـق عـلى ذلـك أيْضًـا، أمَّـا الرِّوايـة الثَّانيـة فهـي حـول أحـداث سـنة (٤٨٦هـ - ١٠٩٣م) فقـد اقتبـس في روايـة طويلـة عـودة تُتُـش()، مـن نَصِيْبِـيْن، ومـا قـام بـه بعـد ذلـك، ومـع أنـه صرَّح باسـم ابـن القَلاَنـسِيِّ، لكنَّـه أخـذ مقتطفـات منـه بعبـارات وصيـغ مختلفـة، والرِّوايـة الأخـيرة حـول أحـداث سـنة (٥٤٩هـ - ١١٥٤م) ووصـول أسـد الديـن شـيركوه، إلى ظاهـر دمشـق، وهـي روايـة طويلـة نقـل السِّـبْط منـه بتغيـير في صياغـة العبـارات وتكويـن الجمـل، مـع تطابـق الأحـداث علـماً بأَنَّـه أشـار إلى أخـذه مـن ابـن القَلاَنسِيِّ(ابْـن القَلاَنـسِيِّ، ١٩٨٣م، ص١٦٧، ص٢٠٣، ص٥٠٣).

١٢- ابن عساكر(ت ٥٧١هـ - ١١٧٥م)

محـدّث الشَّـام أبـو القاسـم عـلي بـن الحسـن بـن هبـة الله بـن عبـد الله بـن الحسـين الشَّـافِعِيُّ الدِّمَشْـقِيُّ. ولـد سـنة (٤٩٩هـ - ١١٠٥م)، كان مـن الحُفَّـاظ الكبـار، والعلـماء الأجـلاء، لـه تصانيـف كثيرة(ابـن الجـوزي، ١٩٩٢، ج١٨ص٢٢٤، سـبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٢٣٩، الذهبـي، ١٩٩٨، ج٤ص٨٢.)، لكـنَّ كتابـه: تاريـخ دمشـق، هـو الأشـهر

تنـاول فيـه المُؤلِّـف تاريـخ مدينـة دمشـق، وتكلـم في تراجـم الأعيـان والـرُّواة الذيـن سـكنوا أو مـرُّوا بمدينـة دمشـق، أو جاوروهـا، وقـد ترجـم لعـدد هائـل منهـم، وهـو عـلى نسـق تاريـخ بغـداد، وقـد اعتمـد عليهـا السِّـبْط في تراجـم الأعيـان، حيـث نقـل ثـلاث روايـات منه(سـبط، ٢٠١٣، ج١٧ص٣٤٦، ج٢٠ص٣٢٨، ج٢١ص١٥٤)؛ الأولى: في ترجمـة الشـيخ مُحَمَّـد بـن داود أبي بكـر الدِّيْنَـوَرِيِّ، ويعـرف بالدُّقِّـيِّ(٣٥٠هـ-٩٦١م)(طبقـات الصوفيـة للسـلمي، ص٣٣٥). حيـث نقـل منـه إحـدى كراماتـه، وقـد نقـل الرِّوايـة نصًّـا دون تغيـير، أمَّـا الرِّوايـة الثَّانيـة: فهـي حـول ترجمـة إسـماعيل بـن فضائـل بـن سـعيد أبـو مُحَمَّـد البدليـسي (٥٣٥هـ-١١٤٠م)، حيـث اقتبـس منـه قولـه: (أقـام إمامـا في الجامـع نيفـاً وثلاثـين سـنة، إلى أنْ ظهـر عليـه شيء في اعتقـاده مـن ميلـه إلى التشـبيه؛ فعُـزِل عـن الإمامـة) وقـد نقـل الرِّوايـة نصًّـا؛ إلا أَنَّـه أضـاف بعـد (ثلاثـين سـنة): (يـؤمُّ النَّـاس ويتلـو القُـرْآن). أمَّـا الرِّوايـة الثَّالثـة: فهـي تتعلَّـق بأسـد الديـن شـيركوه، فقـد نقـل السِّـبْط منـه بعـض أعمالـه وصفاتـه، وقـد نقلـه نصًّـا كـما هـو دون تغيير(تاريـخ دمشـق، ج٥٢ص٤٣٩-٤٤٠، ج٧١ص٣٠٨، ج٢٣ص٢٨٣).

١٣- الفارقي (٥٧٧هـ - ١١٨١م)

عـماد الديـن أحمـد بـن يوسـف بـن عـلي بـن الأزرق الفارقـي القـاضي، مـؤرِّخ رحالـة. مـن أهـل مَيَّافَارِقِـيْن ولـد وتعلـم بهـا، ولـد سـنة (٥١٠هـ - ١١١٦م)، كان فاضـلاً أديبًـا عالمًـا صنَّـف كتابـه تاريـخ مَيَّافَارِقِـيْن وآمِـد، المسـمَّى تاريـخ الفارقي(ابـن الفوطـي، ١٩٩٥، ج٢ ص٣١؛ الـزركلي، الأعـلام، ج١ص٢٧٣، ابـن الازرق، ٢٠١٤، ص٢٣.). هـذا الكتـاب يعـدُّ ضمـن المصـادر الرئيسـة التـي اعتمـد عليهـا السِّـبْط، وخاصـة فيـما يتعلَّـق بالإمـارة المروانيَّـة (٣٧٢هـ-٤٧٨هـ/٩٨٢م-١٠٨٥م)؛ فاقتبـس منـه روايـات كثـيرة، وعـلى عادتـه في النقـل؛ يشـير تـارة إلى اسـم الكتـاب، وأحيانـاً أخـرى يتجاهـل ذلـك مـع اقتباسـه لثـلاث روايـات؛ ذكـر فيهـا أَنَّـه اقتبسـها مـن تاريـخ مَيَّافَارِقِيْن(سـبط، ٢٠١٣، ج١٩ص١٠٥، ج١٩ص١٢٦، ج١٩ص٢٥٦)، الرِّوايـة الأولى: حـول أحـداث سـنة (٤٥٢هـ - ١٠٦٠م) ويذكـر فيهـا: حسـن اسـتقبال أبي نـصر بـن مـروان الكُـرْدِي، صاحـب دياربكـر، لعائلـة الخليفـة الذيـن فـرّوا خـلال فتنـة البَسَاسِـيْرِيّ (٤٥١هـ-١٠٥٩م)، والرِّوايـة منقولـة نصًّـا مـن الفارقـي. أمَّـا الرِّوايـة الثَّانيـة: فهـي في أحـداث سـنة (٤٥٣هـ - ١٠٦١م) وهـي سـنة وفـاة الأمـير أحمـد بـن مـروان أبـو نـصر الكُـرْدِي، فمـن خـلال عـرض ترجمتـه ينقـل روايـة عـن الفارقـي، أَنَّ الملـك العزيـز بـن بويـه (٤٤١هـ-١٠٤٩م)، وفـد عليـه، وقـدّم لـه الحبـل الأحمـر الياقـوت، وكذلـك مصحفـا بخـطِّ

عـليٍّ، وقـال لـه: قـد حملـت إليـك الدنيـا والآخـرة، إلى آخـر الرِّوايـة وقـد نقلهـا نصًّـا مـع تغيـير بسـيط في بعـض العبـارات. والرِّوايـة الثَّالثـة: فهـي حـول سـعيد بـن نـصر الدَّوْلَـة بـن مـروان، فذكـر ضمـن ترجمتـه، روايـة نقلهـا مـن تاريـخ مَيَّافَارِقِـيْن، وهـي حـول اجتيـاز السـلطان لدياربكـر يريـد مَنَازْكِـرْد، فقـد نقـل مقتطفـات مـما ورد في كتـاب تاريـخ مَيَّافَارِقِيْن(الفارقـي، تاريـخ ميافارقـين، ص٤١٦، ص٤١٩، ص٥٠٩-٥١٠.). أمَّـا الرِّوايـات التـي نقلهـا منـه ولم يـشر إلى الكتـاب، نذكـر عـلى سـبيل المثـال واحـدة منها(سـبط، ٢٠١٣، ج١٨ص٩٧): ففـي أحـداث سـنة (٣٨٧هــ - ٩٩٧م) وفي ترجمـة الحسـن بـن مـروان أبـو عـلي الكُـرْدِي صاحـب مَيَّافَارِقِـيْن، ينقـل روايـة طويلـة حـول خطبـة الأمـير الحسـن بـن مـروان، لستِّ النَّـاس بنـت الأمـير سـعد الدَّولـة شريـف بـن سـيف الدَّوْلَـة بـن حمـدان، وخروجهـا مـن حلـب، مـع أعيـان نسـاء دياربكـر، ووفـاة الأمـير، قبـل وصـول سـتِّ النَّـاس، وهـي روايـة طويلـة نقلهـا كلهـا وبالنـص تقريبـاً، دون أنْ يذكـر أَنَّـه قـد نقلهـا مـن تاريـخ مَيَّافَارِقِيْن(تاريـخ ميافارقـين، ص٤٥٩). وهنـاك روايـات أخـرى مشـابهة.

١٤-القاضي الفاضل(٥٩٦هـ - ١١٩٩م)

أبـو عـلي عبـد الرَّحِيـم ابـن القـاضي بهـاء الديـن أبي مُحَمَّـد الحسـن بـن الحسـن بـن أحمـد اللَّخْمِـيُّ العَسْـقَلَانِيُّ ، ويعـرف بالقـاضي الفاضـل، كان صـلاح الديـن يعتمـد عليـه كثـيرًا ويقـول في ملأ النَّـاس: (لا تظنُّـوا إني ملكـت البـلاد بسـيوفكم؛ بـل بقلـم الفاضـل). ولـد سـنة (٥٢٩هــ - ١١٣٤م). لـه رسـائل كثـيرة قيـل: (لـو جُمعـت لمـا تقـصر عـن مائـة مُجلَّـد)(المنـذري، ١٩٨١، ج٣ص٢١٧؛ وفيـات الأعيـان، ج٣ص١٥٨؛ سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٨٣). وبقـي مـن رسـائله مجموعـات. اعتمـد عليـه السِّـبْط كثـيرًا حيـث ضمـن كتابـه مجموعـة مـن رسـائله في أحـداث ومناسـبات شـتَّى؛ وذلـك لأهميَّـة تلـك الرَّسـائل، التـي وصفـت أحداثـاً جليلـة في حقبـة تاريخيَّـة مُهمَّـة. وقـد أشـار السِّـبْط إليـه في اثنـي عـشر موضعـا والرِّوايـات هـذه عـلى ثلاثـة أقسـام، قسـم مـن هـذه الرِّوايات(سـبط، ٢٠١٣، ج٢١ص١٨٥، ج٢١ص٢٢٣، ج٢١ص٢٢٨، ج٢١ص٢٨٦) موجـودة في كتـاب رسـائل القـاضي الفاضـل، والقسـم الآخـر غـير موجـود في هـذا الكتـاب، ولكـن مذكـورة في كتـابَيْ: الرَّوضتـين، ومفـرِّج الكـروب، والقسـم الأخـير مـن تلـك الرِّوايـات لم أعـثر عليـه في تلـك المصـادر، وسنشـير في البدايـة إلى الرَّسـائل الموجـودة في كتابـه، وهـي: أربـع رسـائل(القاضي الفاضـل، ٢٠٠٥م، ص٤٥، ص٥١، ص١٠٤، ص١٦٣-١٦٤) بـدأ نقلهـا مـن أحـداث سـنة(٥٦٨هـ - ١١٧٢م) خـلال محاصرة صـلاح الديـن الكَـرَك()، والشَّـوْبَك()، حيـث أَنَّ جماعـة مـن العـرب كانـوا يسـكنون بـأرض الكَـرَك؛ ينقلـون الأخبـار إلى الْفِرِنْـج؛ فغـار عليهـم وقتـل بعضهـم، وأجـلى مـا بقـي منهـم عـن أرض الكَـرَك؛ فكتـب إلى نـور الديـن (٥١١ - ٥٦٩هـ/ ١١١٨ – ١١٧٤م) كتابًـا مـن إنشـاء الفاضـل، وهـي رسـالة طويلـة أخـذ السِّـبْط مقتطفـات منهـا. والرِّوايـة الثَّانيـة: هـي مقتطفـات مـن رسـالة بعـث بهـا صـلاح الديـن مـن إنشـاء الفاضـل، إلى الملـك الصَّالـح، وهـي رسـالة عـزاء وتهنئـة في آنٍ واحـد؛ تعزيـة؛ لوفـاة الملـك العـادل نـور الديـن، وتهنئـة؛ لـه بمناسـبة جلوسـه مـكان والـده، حيـث ذكـرَ فصـولاً مـن رسـالة طويلـة في هـذا الصـدد. والرِّوايـة الثَّالثـة: هـي في أحـداث سـنة (٥٧٠هــ - ١١٧٤م) حـين سـيطر صـلاح الديـن، عـلى دمشـق ودخولـه إليهـا. فبعـث صـلاح الديـن رسـالة إلى زيـن الديـن ابـن نُجَيَّـةَ()، في مـصر, أمَّـا الرِّوايـة الرَّابعـة: هـي ضمـن أحـداث سـنة (٥٧٨هــ - ١١٨٢م) في وقعـة الحاجـب لؤلـؤ(٥٩٨هـ-١٢٠١م)(التكملـة للمنـذري، ج١، ص٤١٧؛ ١٩٨٥ ، ج٢١ ص٣٨٤)، مـع الْفِرِنْـج؛ حـين أراد ابرنـس الكَـرَك ()، المسـير إلى مكـة والمدينـة، وفي طريقـه أقـام غـارات في البحـر، فـأسر التجَّـار وأخـذ مراكبهـم ونهـب وقتـل، فسـار خلفهـم لؤلـؤ الحاجـب؛ فأدركهـم فهـربَ بعضُهـم في البَـرّ، وأَسَـرَ الباقـين، وفي ذلـك كتـب الفاضـل رسـالة إلى الخليفـة، نقـل السِّـبْط منهـا أجـزاء بالعبـارات نفسـها، وبالنسـبة للروايـات الأخـرى؛ فهنـاك أربع(سـبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٢٩٣، ج٢١ص٣٦٩، ج٢١ص٣٨٠، ج٢٢ص٧١) منهـا لم أعـثر عليهـا في كتـاب رسـائل القـاضي الفاضـل، ولكـن وجدتهـا في كتابَيْ(الروضتـين في أخبـار الدولتـين، ج٣ص١٥٥، ج٤ص١١٠، ج٤ص٩١٦، ج٤ص٤٤٤؛ مفـرج الكـروب، ج٢ص١٣٨، ج٢ص٣٠٩، ج٢ص٥٠٥): أبي شـامة، وابـن واصـل، والرِّوايـات كالتـالي؛ روايـة في أحـداث سـنة (٥٧٩هــ - ١١٨٣م) في فتـح آمِـد: كتـب الفاضـل إلى الخليفـة كتابًـا في ذلـك، ولكـن هـذا الجـزء مـن الكتـاب غـير موجـود في رسـائل القـاضي الفاضـل، وروايـة ضمـن أحـداث سـنة (٥٨٥هــ - ١١٨٩م)، وروايـة أُخـرى ضمـن أحـداث سـنة (٥٨٦هــ - ١١٩٠م)، في رسـالة إلى يعقـوب بـن يوسـف بـن عبـد المؤمـن أمـير المغـرب()، وفيهـا أيضـا كتـب الفاضـل رسـالة إلى السـلطان؛ يبـشِّره فيهـا بـولادة صبـي للملـك العزيـز. والرِّوايـة الرَّابعـة كانـت في سـنة

(٥٩٥هـ - ١١٩٨م) وفيها كتب رسالة إلى العادل يعزيه بوفاة الملك العزيز. وهناك أربع روايات(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٣٢٥، ج٢١ص٣٣٦، ج٢٢ص٢٤، ج٢٢ص١١٩) فيها أجزاء من رسائل للقاضي الفاضل في مناسبات شتَّى في سنوات (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) و (٥٨٩هـ - ١١٩٣م) والرِّواية الأخيرة في سنة (٥٨٧هـ) وهي ليست جزء من رسالة وإنما بعض كلمات في وصف العماد الكاتب والثناء عليه. ولم نعثر عليها في تلك الكتب.

١٥ ابن الجَوْزِيِّ (٥٩٧هـ-١٢٠٠م)

الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن أبي الحسن العلامة المعروف بابن الجَوْزِيِّ؛ جدّ السِّبْط. صاحب التَّصانيف الكثيرة، ولكن «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» أكثرها شهرة وتميزاً وأوسعها انتشاراً، والسِّبْط قد استفاد من كتاب جدّه الكثير واقتبس كثيرًا من رواياته وسار على طريقته، لكنه ليس كما يقال: بأنه ضمن كتابه «المنتظم» وبنى عليه بعد انتهائه، صحيح أنه استفاد منه كثيرًا ، ولكنه لم يقتصر على ما فيه بل أضاف إليه الكثير من المصادر التي تهيَّأت له، وضمَّنه آراءه ووجهات نظره؛ حيث تجلَّى في كثرة التعليقات والانتقادات لسابقيه من المؤرِّخين، ومنهم: جده ابن الجَوْزِيِّ.

وفيما يخصُّ موضوعنا؛ فإنَّه استفاد من «المنتظم» ونقل منه روايات تتعلَّق بالإمارات الكُرْدِية، ومعلوم إنَّ السِّبْط يذكر اسم المُؤلِّف أو اسم الكتاب الذي ينقل منه في بعض الأحيان، لكنه في أحيان أخرى لا يذكره، ويتجلّى ذلك بوضوح في «المنتظم»؛ فانه ربَّما يقتبس نصوصاً فيذكره وربما أخذ منه فقرات أو مختصرات ولم يذكر الاسم، أو ربَّما أخذ المعنى وصاغ عباراته بشكل آخر أي: بمعنى آخر: تتَّفق الرِّوايتان بالمعنى، وتختلف في الصِّياغة؛ فيذكر مثلاً أربع روايات (سبط، ٢٠١٣، ج١ص٩٥، ج١٢ص٨٦، ج١٦ص١٣٣، ج١٨ص٣٣٣)، يصرَّح فيها بالنقل منه،

الرِّواية الأولى: يقول: ذكر جدِّي في «المنتظم»، عن أبي الحسين ابن المُنَادِي(٣٣٦هـ-٩٤٧م): إنَّ قلعة ماردين أسِّست على مصابرة العدو أربعين عاماً، ويقول: بأنَّ فيها من العيون العذبة عشرة أعين. والرِّواية موجودة في «المنتظم» ولكنه يقول: وفيها من العيون العذبة عشرات كثيرة.

والرِّواية الأخرى حول أبي الجهم()؛ حيث يقول: كان عينا لأبي مسلم على المنصور، وكيفية مقتله بالسُّمِّ على يد المنصور، والرِّواية منقولة منه نصًّا. أمَّا الرِّواية الثَّالثة: فهي حول ابن قتيبة الدِّيْنَوَرِيّ، حيث أشار السِّبْط إلى إنَّ جده قد ذكر في «المنتظم» عن أهل العلم: أنَّه مات بالكوفة، ودُفن إلى جانب قبر أبي خازم القاضي، وينقد رواية جده ويقول: هذا وهم منهم؛ لأن أبا خازم القاضي قد تُوُفِّي سنة (٢٩٢هـ - ٩٠٤م) فهناك مدة طويلة بينهما، وابن قتيبة قد تُوُفِّي سنة (٢٧٦هـ - ٨٨٩م).

ولم يقتبس هذه الرِّواية فقط، بل أغلب تراجمه قد نقلها من جده، بعد تغيير عباراته. والرِّواية الرَّابعة: حول أبو القاسم الوزير المغربي()،حيث نقل الرِّواية منه نصًّا(١٩٩٢، ج٧ص٣١٤، ج٨ص١٥، ج١٢ص٢٧٧، ج١٥ص١٨٦).

وهناك روايات كثيرة نقلت منه ولم يصرَّح بذلك؛ فعلى سبيل المثال: رواية عن بدر بن حَسْنَوَيْه (٤٠٣هـ-١٠١٢م)(١٩٩٢، ج٧ ص٢٧١)؛ كان يدفع خمسة آلاف دينار لِلْأُصَيْفِرِ الْمُنْتَفِقِي الأعرابي (٤١٠هـ-١٠١٩م) عوضاً عمَّا كان يُجبَى إليه من الحاج في كل سنة ويقول جعل ذلك رسماً وزاد إلى تسعة آلاف دينار حين وفاته(سبط، ٢٠١٣، ج١٨ص٩٠) وقد نقلها نصًّا من «المنتظم» دون أنْ يذكر ذلك. فقط هناك اختلاف في كمية المبلغ فعند ابن الجَوْزِيِّ (٩٢٠٠) دينار، وعند السِّبْط (٩٠٠٠) دينار(١٩٩٢، ج١٤ص٣٨٣). وهناك روايات أخرى(سبط، ٢٠١٣، ج١٨ص٢٣١، ج١٨ص٣١٤، ج١٢ص٨٠-٨١) فمثلا في وفاة بدر بن حَسْنَوَيْه، يذكر بعضاً من أعماله الخيرية فيقول: وكانت صدقاته جارية على القضاة والأشراف والعلماء واليتامى والمساكين، وكان يصرف في كل سنة ألف دينار، إلى عشرة رجال؛ يحجُّون عن: أبيه، وعن: عَضُدِ الدَّوْلَةِ (٣٧٢هـ-٩٨٢م)، لأنَّه كان السبب في ولايته. وكان يتصدَّق بكل جمعة عشرة آلاف درهم على الضعفاء والأرامل إلى آخر ذلك. فهذه الرِّواية منقولة نصًّا عن ابن الجَوْزِيِّ، والاختلاف فيها أنَّ في «المنتظم» (عشرين رجلاً) بدلاً من عشرة، وكذلك (يحجُّون عن والدته) وليس والده، كما في المرآة.

١٦- العماد الكاتب الأصفهاني (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م)

مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَامِدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَلِيٍّ بنِ مَحْمُوْدِ بنِ هِبَةِ اللهِ بنِ أُلْهْ(). القاضي الإمام العالم العلامة الوزير، ولد سنة (٥١٩هـ - ١١٢٥م) بأصبهان، كتب لنور الدين محمود بن زَنْكِي، ولصلاح الدين يوسف بن أَيُّوب(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٣٢٥، ج٢١ص٣٣٦، ج٢٢ص٢٤، ج٢٢ص١١٩). صنَّف عدداً من المؤلَّفات منها، البرق الشَّامي، خريدة القصر وجريدة العصر، الفتح القسي في الفتح القدسي، وغيرها. شخصية العماد ومؤلَّفاته كانت موضع اهتمام كبير للسبط؛ فضمن كتابه عدداً كبيراً من الرِّوايات المقتبسة من كتبه وعلى النحو الآتي.

١_ الفتح القسّي في الفتح القدسي. كتاب تاريخي أورد فيه العماد جميع الأحداث التي تتعلَّق بالحملات الصليبية، وفتح بيت المقدس من سنة (٥٨٣هـ -١١٨٧م) إلى سنة (٥٨٩هـ - ١١٩٣م) وقد كتب بأسلوب ادبي جميل ونبرة ملحمية. اقتبس السِّبْط ثماني(سبط، ٢٠١٣، ج١ص٣٢٢، ج٢١ص٣٥٤، ج٢١ص٣٥٥، ج٢١ص٣٥٨، ج٢١ص٣٨٣، ج٢٢ص١٠، ج٢٢ص١٩، ج٢٢ص٢٢-٢٥) روايات من هذا الكتاب. فالأولى كانت ضمن أحداث سنة (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) بعد تحرير القدس وانتصار المسلمين، يقول السِّبْط: أمر السلطان؛ العماد الكاتب، فكتب إلى بغداد يبشرهم بالفتح. وذكر أجزاء من هذه الرسالة، وهذه الأجزاء منقولة نصًّا مع اختلاف في بعض الكلمات. والرِّواية الأخرى في سنة (٥٨٤هـ - ١١٨٨م) وفي فتح مدينة اللاذقيَّة فنقل بعضاً مما كتبه العماد في وصف هذه المدينة بعد فتحها. وفي رواية أخرى في العام نفسه وضمن سلسلة الفتوحات في هذا العام؛ نقل مقتطفات من كلام العماد في فتح حصن برزية()، وتسليم دربساك()، إلى علم الدين سليمان بن علي بن جندر()، وقد نقل ذلك نصًّا مع اختلاف ضئيل في بعض العبارات أو الكلمات. ضمن هذا العام أيْضًا نقل السِّبْط روايتين أخريين عن فتح الكَرَك، وكوكب()، من العماد. فالرِّواية الأولى: لم ينقلها كما هي وانما غيّر في عباراتها. أمَّا الثَّانية في حصن الكوكب؛ فقد نقل أجزاء من كلامه بالنص دون تغيير. وضمن أحداث سنة (٥٨٧هـ - ١١٩١م) وفي ترجمة يوسف بن علي بن بُكْتِكِين، نقل عن العماد: زيارتهم لأخيه في عزائه، وقد انشغل عن العزاء؛ بحيازة أمواله وأسبابه إلى غير ذلك، وقد غيّر في العبارات ولكن المعنى واحد فقط اختلف الأسلوب. وفي رواية أخرى في ترجمة علي بن أحمد سيف الدين المشطوب()، نقل عن العماد سنة ومكان وفاته حيث اختلفوا في سنة الوفاة. وضمن أحداث سنة (٥٨٩هـ - ١١٩٣م) وخلال ترجمة السلطان صلاح الدين في وفاته نقل السِّبْط عن العماد روايات تتحدَّث عن مناقب السلطان ومآثره ومحافظته على الصلوات في أوقاتها، والمواظبة على الفروض والسنن، كما نقل عنه أجزاء من كلامه حين زاره في مرضه، ووصف ذلك، كذلك نقل عبارات عنه تتحدَّث عن زهده وإعراضه عن الدنيا وأغلب هذه العبارات نقلها كما هي بتغيير بسيط في بعض الأحيان(الأصفهاني، ٢٠٠٤م، ص٨٣، ص١٣١، ص١٣٥-١٣٨، ص١٤٤-١٤٦، ص٢٣١، ص٣٢٠، ص٣٤٢-٣٤٣-٣٤٤).

٢_ البرق الشَّامي، يؤرخ الكتاب للفترة الزمنية الواقعة بين سنتي (٥٦٢هـ - ١١٦٦م إلى ٥٨٩هـ -١١٩٣م) ويقول المؤرِّخ شاكر مصطفى: هو أشبه بالمذكرات الشخصية؛ لأنه بدأ الكتاب بذكر حياته وانتقاله من العراق إلى الشَّام، وأخباره مع السلطان نور الدين، ثمَّ مع السلطان صلاح الدين، وتاريخ دولتهما، مع ذكر بعض الفتوح بالشَّام، وذلك في سبعة مُجلَّدات لم يبق منها سوى جزئين: الخامس والثالث. وقد لخَّص البُنْدَارِيُّ الكتاب كله في مُجلَّدين؛ طُبع الأوَّل منهما وعنوانه: (سنا البرق الشَّامي)(التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٢٤٧). اقتبس السِّبْط من هذا الكتاب ثماني روايات(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص١٣٤-١٣٥، ج٢١ص٢٣٨، ج٢١ص٢٤٢، ج٢١ص٣٠٤-٣٠٥، ج٢١ص٣١٣، ج٢١ص٢٤٨)، ولانه لم يعثر على تلك الرِّوايات في البرق الشَّامي، إلا رواية واحدة فأشرنا إلى البقيَّة في كتاب سنا البرق الشَّامي. فالرِّواية الوحيدة(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٢٨٩) في البرق هي: ترجمة فَرُّوخشَاه بن شاهنشاه بن أَيُّوب()، نقل السِّبْط منه عبارات في مدحه والثناء عليه، وهي مطابقة تقريباً للنص المنقول. كما نقل عدَّة أبيات أيْضًا؛ قسم منها موجود في الخريدة أيْضًا(البرق الشامي، ١٩٧٨م، ج٥ص٦٠؛ خريدة القصر وجريدة العصر، ١٩٦٨م، ص١١٥-١٢١)، أمَّا بقيَّة الرِّوايات فموجودة في سنا البرق، وقد بدأها بأبيات للعماد الكاتب، في مدح نجم الدين أَيُّوب، خلال زيارته له عند قدومه إلى دمشق. ورواية ثانية في أحداث سنة (٥٧١هـ - ١١٥٥م) خلال فتح بزاعة()، وعزاز() وفي رواية أخرى حول أحداث سنة (٤٧٢هـ - ١١٧٦م) في نوبة الكنز؛ مقدّم السودان()، بالصعيد، وفي أحداث سنة (٥٨١ هـ - ١١٨٥م): أخذ روايتين من هذا الكتاب، الأولى: حول

وفاة قطب الدين صاحب ماردين()، وولاية ابنه الأكبر وعمره عشر سنين، وأيْضًا وفاة نور الدين() صاحب آمِد، وتولِّي ابنه: قطب الدين سكمان، ومسير السلطان، إلى مَيَّافَارِقِيْن، وعصيان أَسَد الدِّينِ يَرْنَقُشْ، ومراسلة الخاتون زوجة قطب الدين، وعودة أَسَد الدِّينِ يَرْنَقُشْ، إلى خدمته.

أمَّا الرِّواية الثَّانية: فهي حول مرض السلطان في نَصِيْبِيْن، وحمله إلى حَرَّانَ، وشفائه هناك. والرِّوايتان قد اختصرهما بأسلوبه من هذا الكتاب. وفي رواية أخرى في سنة (٥٨٢هـ - ١١٨٦م): حول خبث ابرنس الكَرَك ارناط، وغدره والاستيلاء على قافلة كبيرة للمسلمين؛ نقلها أيْضًا بمعناه وبأسلوبه. وفي أحداث سنة (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) وخلال زيارة شمس الدين ابن المقدَّم()، للحجِّ ووصوله إلى عرفات؛ أراد رفع علم صلاح الدين على الجبل فمنعهُ طاشتكين()، وقال: هذا مكان لا يُرفَع فيه إلا علم الخليفة؛ فاقتتلوا على ذلك، وأصيب شمس الدين بسهم، كانت سببًا في وفاته(البُنْدَارِيّ، ١٩٧٩، ص٣٢٩). وقد نقل منه ملخصاً للرواية.

٣_ خريدة القصر وجريدة العصر: أرَّخ فيه لأدباء وشعراء زمانه، ومن كافة الأقطار الإسلامية. وهي في عشر مُجلَّدات كبار، جعلهُ في أربعة أقسام، قسم لبغداد والعراق، وقسم لعراق العجم وما وراء النهر وخُرَاسَانَ، وقسم لشعراء الشَّام واليمن والجزيرة، وقسم لبلاد المغرب ومصر(شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج٢ص٢٤٨.). وقد اقتبس السِّبْط من هذا الكتاب أربع روايات()؛ الأولى: حول الشاعر عُمَارَةُ اليمني()، الذي صلبه صلاح الدين في مصر، وقد نقل منه بعض ما يتعلَّق به؛ نقله نصًّا مع تقديم وتأخير في بعض العبارات.

ورواية أخرى: حول القاضي كمال الدين الشَّهْرُزُوْرِيُّ()، وقد نقل منه بعض ما وصفه به العماد في الخريدة، ولكن العبارات بينهما مختلفة وغيرمتطابقة(خريدة القصر وجريدة العصر، ١٩٦٨م، ج٣ص١٠٤، ج٢ص٣٢٣.)

وفي رواية ثالثة: يتحدَّث عن: بوري بن أَيُّوب()، ويقول: ذكره العماد في الخريدة، وأثنى عليه، وقد نقل أبياتًا من شعره؛ وجدت اثنتين منها ضمن قصائده الشِّعريَّة(الخريدة، بداية شعراء الشام، ص١٣٤). والرِّواية الأخيرة: حول أسامة بن مرشد بن علي()، نقل السِّبْط من الخريدة؛ عبارات من حياته وصفاته، ولكنه صاغها بأسلوبه وأخذ منها بعض الأبيات الشِّعريَّة، واقتبس منها أيْضًا قصيدة في مدح صلاح الدين الأَيُّوبي(الخريدة، قسم شعراء الشام، ج١ص٤٩٨، ص٥٤٥-٥٤٦). وهناك عدَّة روايات ذكر السِّبْط بأنه نقلها من العماد الكاتب، لكن لم نعثر على تلك الرِّوايات في كتبه، ربَّما تكون هذه الرِّوايات في: البرق الشَّامي، وفي أجزائها المفقودة(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٢٨٥، ج٢١ص٣١٨، ج٢٢ص٢٩، ج٢٢ص٣٥، ج٢٢ص٨١، ج٢٢ص٩٠.).

وهناك اقتباس لنص رسالة؛ بعثت إلى بغداد بعد الانتصارات المتلاحقة عام (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) بعد فتح القدس وعكا، حيث قال السِّبْط: وكتب العماد الكاتب إلى بغداد كتابًا أوَّله: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرض يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}(سورة الانبياء، الآية ١٠٥)، ونقل أجزاء من الرسالة ووجدت الرسالة في كتاب رسائل القاضي الفاضل(ص٢٣٤-٢٤٠) وهي رسالة طويلة نقلت أجزاء قليلة منها، وفي هامش الكتاب اشار المحقق إلى إنَّ هذه الرسالة وردت في مصادر عديدة على أنها للعماد الكاتب، مثل: مرآة الزمان، والروضتين، وصبح الأعشى،(ص٢٣٤) فربما كان ينقل السِّبْط أحياناً من مصادر أخرى غير المصادر الاصلية، أو ربَّما يكون هناك خطأ من النَّاسخ.

١٧- ابْنُ الأَثِيْرِ الجَزَرِيُّ (ت٦٣٠هـ - ١٢٣٢م)

عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الكَرِيْمِ عِزُّ الدِّيْنِ أبو الحسن ابْنُ الأَثِيْرِ الجَزَرِيُّ، ولد بالجزيرة سنة (٥٥٥هـ - ١١٦٠م)، صنَّف التَّاريخ المشهور المسمى بالكامل، وتاريخ للموصل، وغير ذلك(ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ص٣٤٩؛ الذهبي، ١٩٩٣، ج١٣ص٩٢٥). اعتمد عليه السِّبْط واقتبس منه عدداً من الرِّوايات؛ على الرغم من أنَّه كان معاصرا له، والاقتباس كان من كتابيه:

١_ الكامل في التَّاريخ: وهو تاريخ عام منذ بدء الخليقة حتَّى عصره، وكان منهجه التسجيل الحولي وقد اقتبس السِّبْط عددا من الرِّوايات من هذا الكتاب فأشار إلى قسم منها، ولم يشر إلى القسم الآخر، فمن الرِّوايات التي ذكرها بأنه نقل منه روايتين(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٣٩٣، ج٩ص٤٥٤): الأولى: ضمن أحداث سنة (٥٦٩هـ - ١١٧٣م) فقال السِّبْط: وذكر

ابـن الأثـير الجَـزَرِيُّ في تاريخـه، وسرد مـا قـام بـه نـور الديـن مـن جمـع للعسـاكر مـن الموصـل والجزيـرة وديار بكـر، إلى آخـر الرِّوايـة، وقـد نقلهـا كـما هـي مـع تغيـير بسـيط في صياغـة بعـض العبـارات. أمَّـا الرِّوايـة الثَّانيـة: فهـي تـدور حـول أحـداث سـنة (٥٧٧هـ - ١١٨١م) وأشـار إلى ابـن الأثـير وروى عنـه: مـرض الملـك الصَّالـح إسـماعيل، ووصـف الأطبـاء لـه قليـل خمـر؛ للعـلاج، ورفضـه لذلـك، ونقلـه كالرِّوايـة الأولى بصياغـة عبـارات مختلفـة عنه(ابـن الأثـير،١٩٩٧، ج٩ص٣٩٣، ج٩ص٤٥٤). وهنـاك روايـات أخـرى اقتبسـها مـن الكامـل، ولكنـه لم يـشر إلى ذلـك، نذكـر ثلاثـة روايات(سـبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٣٧، ج٢١ص١٧٢، ج٢ص٢٣٠): فالرِّوايـة الأولى: ضمـن أحـداث سـنة (٥٥٨هـ - ١١٦٢م) وخـلال مسـيره إلى بـلاد الْفِرِنْـج، واسـتيلائه عـلى اطـراف البـلاد، ثـمَّ يتطـرق إلى كيفيـة مباغتـة الْفِرِنْـج لهـم وانهـزام أغلـب عنـاصر الجيـش، وخـروج نـور الديـن مـن خيمتـه؛ لإنقـاذ نفسـه فركـب فرسـه وفي رجلـه شـبحة()، فقطعهـا كـردي فنجـا نـور الديـن، وقُتِـل الكُـرْدِي، أي: افتـداه بنفسـه. فهـذه الرِّوايـة وان اختلفـت عباراتهـا قليـلاً فهـي مشـابهة لمـا في الكامـل.

والرِّوايـة الثَّانيـة: ضمـن أحـداث سـنة (٥٦٧هـ - ١١٧١م) وظهـور أمـور أوجبـت تأثـر نـور الديـن، مـن صـلاح الديـن، وأسـباب ذلـك وكل مـا يتعلَّـق بتلـك الأحـداث، فقـد أخـذ السِّـبْط أجـزاء مـن الرِّوايـة وصاغهـا بأسـلوبه، إلا إنَّ محتواهـا مطابـق لمـا ورد عنـد ابـن الأثـير، باسـتثناء بعـض العبـارات التـي بالـغ ابـن الأثـير بهـا، وربمـا رآهـا السِّـبْط إسـاءة لصـلاح الديـن.

أمَّـا الرِّوايـة الثَّالثـة: فهـي ضمـن أحـداث سـنة (٥٧٠هـ - ١١٧٤م) وفي أثنـاء حصـار صـلاح الديـن، لحلـب، وسـيطرته عـلى حمـص وبعلبـك، واسـتغاثتهم بالإسـماعيلية. وهـذه الرِّوايـة أيْضًـا صياغتهـا تختلـف لكـن محتواهـا مطابـق.(ابـن الأثـير،١٩٩٧، ج٩ص٣٠٢، ج٩ص٣٦٧-٣٦٨، ج٩ص٤٠٧-٤٠٨)

٢_ التَّاريـخ الباهـر في الدَّوْلَـة الأتابكيَّـة. وهـو تاريـخ للدَّوْلَـة الزنكيَّـة التـي يديـن لهـا المـؤرِّخ بالـودِّ والـولاء، وقـد كتبـه تقرّبـا لهـم، ولا يتجـلَّى ابـن الأثـير في كتابـه هـذا بكامـل الموضوعيَّـة فهـو يحـابي أمـراءه ويجاملهـم بالمديـح، ولا يلتـزم الجانـب الحيادي،أوالتفصيـل حينـما يتكلـم عـن علاقـة الزنكيـين بصـلاح الديـن،(شـاكر مصطفـى، ١٩٩٧، ج٣ص١١٤). اقتبـس السِّـبْط مـن هـذا الكتـاب روايـة واحدة(سـبط، ٢٠١٣، ج١٢ص٢٠٦)، وأشـار إلى ابـن الأثـير، والرِّوايـة: حـول مقارنـة مجلـس نـور الديـن، بمجلـس صـلاح الديـن، حيـث يقـول: إنَّ الحافـظ ابـن عسـاكر حـضر مجلسـه، وسـمع لغطـاً كثـيرًا، وقـال: رحـم اللـه نـور الديـن، لقـد حـضرت مجلسـه مـرارا؛ فـما سـمعت أحـدا ينطـق إلا جوابـاً فـما هـذا اللغـط؟!(ابـن الأثـير، ١٩٦٣ ، ص١٧٢).

وهنـاك روايـة أخرى(سـبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٢٠٦) نقلهـا مـن الباهـر، ولكنـه لم يـشر إليهـا، وذلـك مـا يتعلَّـق ببنـاء دار العـدل، مـن قبـل نـور الديـن، وسـبب ذلـك إنَّ الامـراء اقتنـوا الأمـلاك واسـتطالوا عـلى النَّـاس، وخصوصـاً أسـد الديـن شـيركوه، وعـلى إثـر ذلـك كـثرت الشـكاوى،الى آخـر الروايـة. والرِّوايـة وإن اختلفـت عباراتهـا قليـلا، فهـي مطابقـة لمـا في الباهر(ابـن الأثـير، ١٩٦٣،، ص١٦٨.) ، ولم يـشر السِّـبْط إلى المصـدر.

١٨- ابْنُ شَدَّادٍ (ت٦٣٢هـ - ١٢٣٤م)

يُوْسُـفُ بـنُ رَافِـعِ بـنِ تَمِيْـمٍ بـنِ عُتْبَـةَ بـنِ مُحَمَّـدِ بـنِ عَتَّـابِ الأَسَـدِيُّ، بَهَـاءُ الدِّيْـنِ أبـو المحاسـن المعـروف بابـن شـدَّاد ولـد سـنة (٥٣٩هـ - ١١٤٤م). صنَّـف عـددا مـن الكتـب منهـا: النـوادر السـلطانية سـيرة صـلاح الديـن، وغـير ذلك(ابـن خلـكان، وفيـات الأعيـان، ج٧ص٨٤؛ السـبكي، ١٩٩٢، ج٨ص٣٦٠). اسـتفاد السِّـبْط مـن كتابـه هـذا وهـو عـن حيـاة صـلاح الديـن الأَيُّـوبي؛ يـسرد فيـه المُؤلِّـف تفاصيـل نشـأته وفتوحاتـه وأخلاقـه، وعـاصر المُؤلِّـف فـترة حكمـه فهـو بذلـك شـاهد عيـان يـؤرِّخ لفـترة تاريخيـة هامـة.

اقتبـس السِّـبْط روايـات عـدَّة منـه بلغـت: ثـلاث عـشرة رواية(سـبط، ٢٠١٣، ج٢١ص١٧٣، ج٢١ص١٨٥، ج٢١ص١٨٧، ج٢١ص٣٠٥، ج٢١ص٣٧٨، ج٢١ص٣٦٩، ج٢٢ص١٠، ج٢٢ص١٩، ج٢٢ص٢٠، ج٢٢ص٢١، ج٢٢ص٢٤) ، وطريقـة اقتباسـه للروايـات تختلـف مـن روايـة لأخـرى، ففـي أحـداث سـنة (٥٦٧هـ - ١١٧١م): أورد روايـة قصـيرة عـلى الجفـاء، أو كـما أطلـق عليـه المؤرِّخـون الوحشـة التـي حدثـت بـين صـلاح الديـن، ونـور الديـن، ومناقشـة تبعـات ذلـك مـع البيـت الأَيُّـوبي، فهـي روايـة قصـيرة نقلهـا بأسـلوبه وغـيّر عباراتهـا دون معناهـا.

وفي روايـة أخـرى حـول أوَّل غـزوة قـام بهـا السـلطان مـن الديـار المصريـة، إلى الكَـرَك والشَّـوْبَك، وتوضيـح سـبب البـدء بتلـك

النواحي وفي غيرها، وكالرِّواية الأولى صاغ عباراتها بأسلوبه.

وضمن أحداث سنة (٥٦٨هـ - ١١٧٢م) وفاة نجم الدين أَيُّوب، فنقل منه كيفية وفاته وولعه بلعب الكرة، وسقوطه من على الفرس. فهو ينقل الرِّواية معنى كسابقيه، لكن الغريب إنَّ ابن شدَّاد ضمن هذه الرِّواية، قال: إنَّ وفاته كان في شهور سنة تسع وستِّين، وأوردها السِّبْط ضمن أحداث ثمانية وستِّين، ولم يتطرق إلى ذلك. وفي رواية أخرى: أشار إلى ابن شدَّاد، ونقل منه سبب صلح المواصلة للسلطان، واستنجادهم بالديوان والبهلوان وإخراج النساء إليه.

أمَّا أحداث وقعة أُرسُوف، ضمن سنة (٥٨٧هـ- ١١٩١م) فينقل قولاً لابن شدَّاد، يردُّ به على ابن القادسي؛ الذي قال: بأن صلاح الدين انهزم في هذه المعركة، أمَّا قول ابن شدَّاد فيؤكد على أنَّه لم ينهزم، ويؤيِّد السِّبْط قول ابن شدَّاد ويقول: (وليس المخبر كالعيان)().

وهناك روايات أخرى نقلت منه في مواضيع متفرقة، وضمن أحداث سنوات شتَّى، مثل الأمر بقتل السُّهْرَوَرْدِيُّ()، وبيان ومكان وفاة علي بن أحمد سيف الدين ابن المشطوب ملك الهَكَّارِيَّةِ. وكذلك نقل روايات أخرى في أحداث سنة (٥٨٩هـ - ١١٩٣م) في ترجمة صلاح الدين وفي صفحات متفرقة؛ يبين تقواه ، وزهده وعدله وكرمه وحسن عشرته وطيب خلقه، ورقَّة قلبه وإعراضه عن الأموال والملذَّات، ويذكر الأمثلة على ذلك(ابن شداد، ١٩٩٤م، ص٨٨، ص٨٦، ص٨٧، ص١١٩-١٢٠، ص٢٧٦، ص٣٨، ص٣٥٥، ص٣٣-٣٤، ص٤٥-٥٦، ص٤٧-٤٨، ص٢٤٠، ص٣٤) ، ناقلاً منه بأسلوبه؛ فلا ينقل نصَّ الرِّواية، وانما يُغيّر صياغة بعض عباراتها مع قصر تلك الرِّوايات، فتاريخ ابن شدَّاد مختصر وعباراته مختصرة أيْضًا، بعكس القاضي الفاضل، أو العماد الاصفهاني الذي كان يختصر الرِّواية، أو ينقل عبارات منها، والظاهر إنَّ السِّبْط اراد كتابتها بأسلوبه حتَّى يتلائم مع نسق الكتاب. هذه هي أهم موارده، وهناك اقتباسات ونقولات له من آخرين؛ مثل: مقاتل()،وابو اليسر شاكر بن عبد الله()، والزكي النحاس()، والقاضي ابن السماك، وآخرين، حتَّى إنَّه نقل عن أشخاص لم يذكر أسماءهم؛ فمثلا يقول: (ولقد وقفت على تاريخ بمصر(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص١٩٤-١٩٥.)، ولا يسعنا المقام للتفصيل في ذلك؛ خشية الإطالة.

ب / المصادر المفقودة:

١- أَبُو اليَقْظَانِ النَّسابة (ت ١٩٠هـ - ٨٠٥م)

هو عامر بن حفص، كان عالمًا بالأخبار والأنساب والمثالب، ثقة فيما يرويه. صنَّف: أخبار تميم، كتاب النوادر، كتاب النسب الكبير، وغيرها، لكن هذه الكتب ضاعت وليس منها الآن سوى مقتطفات متفرقة(ابن النديم، ١٩٩٧، ص١٢٣؛ شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج١ص١٩٣). اعتمد عليه السِّبْط في كتابه كثيرًا، ونقل عنه أربع روايات فيما يتعلَّق بأَبِي مُسْلِمٍ ، إحداها: كتابته إلى أَبِي العَبَّاسِ، يستأذنه في الحجِّ، إلى آخر الرِّواية. والثَّانية: قال أبو اليقظان: بأن أبا مسلم يدّعي أنه ابن سليط بن عبد الله بن عبَّاس. والرِّواية الثَّالثة: عندما حج أبو مسلم ونزل الحيرة، وأخبروه بوجود راهب قد أتت عليه مائتا سنة، عنده علم من العلم الأوَّل؛ فأتاه ودار بينهما حوار، والرِّواية الاخيرة: أمر أبو جعفر عيسى بن موسى، والأشراف: بتلقِّيه. وهي رواية طويلة(سبط، ٢٠١٣، ج١٢ص٣٩، ج١٢ص٦٨، ج١٢ص٧٦، ج٢١ص٧٨).

٢- ابن الكلبي (٢٠٤هـ -٨٢٠م)

هشام بن مُحَمَّد بن السائب بن بشر أبو المنذر الكلبي صاحب النسب، هو من أهل الكوفة ثمَّ قدم بغداد، وألف كتبا كثيرة، وعناوينها تشبه عادة أنْ تكون عناوين مقالات، وهي في مواضيع محددة، ولم يبق من كتبه سوى: الأصنام، وجزء من: جمهرة النسب، وكتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام(الخطيب البغدادي،١٩٩٦، ج١٦ص٦٨، شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج١ص١٩١). اقتبس منه السِّبْط أربع روايات(سبط، ٢٠١٣، ج١ص٥٨، ج١ص٦١، ج١ص٣٢٩، ج١٢ص٧٩)، لم اجدها في كتبه المطبوعة؛ فلا بد أنها ضمن الكتب المفقودة، الرِّواية الأولى: حول مدينة حُلْوَانَ، ورواية أخرى: حول حَرَّانَ، ورواية : حول سكن نوح بعد نزولهم من السفينة، نقل عنه قوله: (وأقاموا بالجُودِيِّ، وباقِرْدَى()، والجزيرة؛ فتناسلوا وكثروا). إلى آخر الرِّواية. أمَّا الرِّواية الرَّابعة: فهي حول أبي مُسْلِمٍ، واستشارة أبو جعفر لعيسى بن موسى، في قتله.

٣- الهَيْثَمُ بنُ عَدِيٍّ (ت٢٠٧هـ-٨٢٢م)

الهَيْثَمُ بنُ عَدِيِّ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدِ بنِ أُسَيْدِ بنِ جَابِرٍ، أبو عبدالرَّحمن الطَّائِيُّ، يحتلُّ مكانة متميِّزة في تطوُّر التَّاريخ؛ لا لجمعه بين دراسات التَّاريخ والأنساب، ولكن أيْضًا للمنهج أو الطَّريقة التي تناول بها التَّدوين التَّاريخي، والكتب التي ألفها تزيد على الخمسين كتابًا في الأنساب والتَّاريخ ومواضيع أخرى، وللأسف لم يبق منها شيء غير بعض المقتبسات في كتب المؤرِّخين(الخطيب البغدادي، ١٩٩٦، ج١٤ص٣٥؛ شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج١ص١٨٢). نقل منه السِّبْط: خمس روايات(سبط، ٢٠١٣، ج١ص٩٧، ج١٢ص٢٩، ج١٢ص٤٠، ج١٢ص٨٣، ج١٢ص٨٦): رواية: حول المعادن، وأنها مفرَّقة في الأقاليم؛ فالجوهر واللآلئ بالمشرق، والنُّحاس والصّفر والزِّفت والقار بالجزيرة. وفي رواية أخرى: حول مسير أبي جعفر المنصور، وأبي مسلم إلى الحَجِّ. والرِّواية الثَّالثة: حول وفاة أبي العَبَّاسِ السَّفَّاح، وحزن أبي مسلم عليه وبكائه. ورواية أخرى: حول أبي مسلم أيْضًا، وهي: أنه قيل لعبد الله بن المبارك(): أبو مسلم، كان خيراً أم الحجاج؟ فقال: لا أعلم إنَّ أبا مسلم، كان خيراً من أحد، ولكن قولوا الحجاج شرٌّ منه(). والرِّواية الأخيرة: قد نقل منه قولًا لأبي جعفر المنصور: ثلاث كنَّ في صدري شفاني الله منها: كتاب أبي مسلم إليَّ وقد مات أخي وبويع لي، وتقدمه إياي في طريق مكة، إلى آخر الرِّواية.

٤- المَدَائِنِيُّ (ت٢٢٥هـ - ٨٣٩م)

أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي سَيْفٍ المَدَائِنِيُّ، بصري ولد ونشأ بها، ثمَّ سكن المَدَائِن، وانتقل إلى بغداد بعد ذلك، ولد سنة (١٣٥هـ -٧٥٢م).مصنَّفاته بلغت: (٢٤٠) مصنَّفاً وهو بالنسبة لعصره أكثر غزارة في الانتاج من: ابن الجَوْزِيِّ، أو ابن طولون، أو السيوطي، وغيرهم. لم يترك باباً إلا وصنّف فيه، ولكن كتبه فقدت وبقي كتاب واحد فقط وهو (نسب قريش)، كما بقيت مقتطفات عديدة من مؤلَّفاته المختلفة في بعض الكتب(ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١١، ص٩٤؛ شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ص١٨٥). نقل عنه السِّبْط رواية واحدة(سبط، ٢٠١٣، ج١٢، ص٨٣) عن: أبي مُسْلِمٍ حيث قال: لو لم يكن من قتلاه إلا إبراهيم الصَّائغ، ويقول: وكان بينه وبين أبي مسلم عهد، إلى آخر الرِّواية.

٥- الصُّوْلِيُّ (ت٣٣٥هـ - ٩١٦م)

أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ العَبَّاسِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ صُولٍ الصُّوْلِيُّ، ولد ببغداد ونشأ بها، كان إخباريًّا أديبًا كاتبا، وكان متمكناً عند الخلفاء نديماً لهم، وللصولي تصانيف كثيرة مثل: كتاب الاوراق في أخبار الخلفاء والشعراء، ولم يتمه وفيه أخبار الخلفاء بأسرهم، كتاب الوزراء، ادب الكاتب، ومصنَّفات أخرى غير ذلك، لكن أكثرها تعرضت للفقدان، تُوُفِّي في البصرة(ابن النديم، ١٩٩٧، ص١٨٤؛ ياقوت الحموي، ١٩٩٣، ج٦، ص٢٦٧٧).وقد اعتمد عليه السِّبْط في كتابه، ولكنه يظهر بأنه قد نقل من كتبه المفقودة، وفي ما يتعلَّق بموضوعنا كأنه اقتبس منه روايتين،(سبط، ٢٠١٣، ج١٢ص٧٢، ج١٢ص٨٥) الأولى: تتعلَّق بأبي مسلم، حيث يقول: قال الصُّوْلِيُّ: وكان أبو مسلم قد كتب إلى أبي جعفر كتابًا، فكان سببًا لهلاكه، وينقل عنه نص الكتاب؛ لأنه بعد ذلك ينقل الرسالة نفسها من البَلَاذُرِيّ؛ وبين النصَّين اختلاف بسيط في العبارات؛ فهذا يعني انه نقل النصَّين من مصدرين مختلفين؛ لتأكيد الخبر. أمَّا الرِّواية الثَّانية: فهي بعد مقتل أبي مسلم، حيث خطب أبو جعفر، ونقل مقاطع من خطبته من الصُّوْلِيّ؛ يحث النَّاس فيها على الطَّاعة، ويبين لهم سبب قتله لأبي مسلم.

٦- ثَابِتُ بنُ سِنَانٍ (ت٣٦٣هـ -٩٧٣م)

ابو الحسن ثَابِتُ بنُ سِنَانٍ بن ثابت بن قُرَّةَ الحَرَّاني. من عائلة عريقة في الطبِّ والعلوم الأخرى؛ فأبوه، وجده: طبيبان ، وهو بالإضافة إلى الطب؛ فقد ولع بعلوم أخرى، مثل: الفلسفة والتَّاريخ، وصنَّف كتبا كثيرة. منها: كتاب التَّاريخ، كتبه سنة (٢٩٥هـ - ٩٠٧م) إلى وفاته، ويقال: أنها تكملة، أو ذيل لتَاريخ الطَّبَرِيّ، كما كتب جزءًا في وفيات الأعيان، وكتابًا عَنِ الحَلاَّج وأخباره، وكتبا أخرى لكنها فُقدتْ(ابن أبي اصيبعه، عيون الانباء في طبقات الأطباء، ص٣٠٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١ص٣١٤؛ شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج٢ص٦٦).

ويعتبر كتاب التَّاريخ لثَابِت بن سِنَانٍ من المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها السِّبْط؛ لأنه كان يسجل لفترة تاريخية

مُهمَّة في العصر العَبَّاسِي، وبالنسبة لموضوعنا فأنه قد أشار إلى اسمه صراحة في رواية واحدة(سبط، ٢٠١٣، ج١٧ص١٨٢): وهي ضمن أحداث سنة (٣٢٩هـ -٩٤٠م)، والرِّواية حول بُجْكَم() وكيفية مقتله. وهناك روايات أخرى لم يشر إليها السِّبْط صراحة باقتباسه منه، ولكن يعتقد بأنه قد نقل منه لسببين: أوَّلًا: لانه في هذه الفترة قد استخدم كثيرًا هذا الكتاب في الأحداث الأخرى. وثانيا: لان تلك الرِّوايات غير موجوده في المصادر السابقة للسبط، أو قد كتبت بشكل مختلف؛ فعلى سبيل المثال: وضمن أحداث سنة (٣٤٥هـ - ٩٥٦م)، يذكر السِّبْط: أنَّ الروم وصلوا مَيَّافَارِقِيْن؛ فقتلوا أهل الضِّياع وسبوا، وبذرقوا() بالحاج(سبط، ٢٠١٣،ج١٧ص٣٠٥). فهذه الرِّواية غير موجودة في «المنتظم»، وكذلك في تاريخ مَيَّافَارِقِيْن، وموجودة في الكامل، بصيغة أخرى.

ومما يجدر ذكره انه في هذه الفترة لم يعتمد السِّبْط على ابن الأثير، كثيرًا في نقولاته، بينما اعتمد على ثَابِت بن سِنَانٍ كثيرًا. وفي رواية أخرى: في سنة (٣٤٧هـ - ٩٥٨م) يقول السِّبْط: (في ربيع الأوَّل خرجت الروم إلى أَرْزَن وآمِد ومَيَّافَارِقِيْن وديار ربيعة؛ ففتحوا حصوناً كثيرة وقتلوا خلقاً عظيما)، ثمَّ يقول: (وآخر ما فتحوا سُمَيْسَاطَ، وقتلوا من كان بها، وأخربوها)(سبط، ٢٠١٣، ج١٧ص٣١٠). هذه الرِّواية غير موجودة في تاريخ مَيَّافَارِقِيْن، وكذلك لم يتطرق إليها ابن الأثير، وذكرت في «المنتظم»، ولكن بصيغة أخرى، ولم يذكر كل المدن. وهناك روايات أخرى على هذا المنوال في سنوات أخرى؛ ففي أحداث سنة (٣٤٨هـ - ٩٥٩م): هناك روايتان: الأولى: يقول فيها: وصلت الروم، إلى الرُّهَا، وحَرَّانَ الى آخر الرواية. هذه الرِّواية غير موجودة في «المنتظم»، ولم يوردها ابن الأثير، وكذلك الفارقي.

والثَّانية: يقول: جاءت الروم ثانية إلى دياربكر، ثمَّ وصلوا إلى مَيَّافَارِقِيْن، يقول: فعمل عَبْدُ الرَّحِيْمِ ابْنُ نُبَاتَةَ(): الخطب الجهادية؛ ليحرِّض النَّاس على الجهاد(سبط، ٢٠١٣، ج١٧ص٣١٠). وهذه الرِّواية غير موجودة في الكتب الثلاثة باستثناء الفارقي ، ولكن بشكل مختلف تماماً. لذلك يرجح أنْ تكون منقولة من ثَابِت بن سِنَانٍ.

٧- ابْنُ الجُزَّارِ القَيْرَوَانِيُّ (ت القرن ٤هـ-١٠م)

أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ أَبِي خَالِدٍ، ولد في القَيْرَوَانِ، من عائلة تعمل في الطب، فأبوه وعمُّه طبيبان. تُوُفِّي بين سنتي (٣٦٩هـ - ٣٧٧هـ)(٩٧٩م -٩٨٧م)، وعدا الطب، كان له من الكتب: أخبار الدَّوْلَة، ويعني: الدَّوْلَة الفاطمية، وعهد أبي عبيدالله المهدي الخليفة الأوَّل، كتاب التعريف بصحيح التَّاريخ، كتاب عجائب البلدان. وهذه الكتب مفقودة(ياقوت الحموي،١٩٩٣، ج١ ص١٨٧؛ ابن أبي أصيبعه، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٤٨١؛ شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج٢ص٢٠٣). اقتبس السِّبْط منه رواية واحدة(سبط، ٢٠١٣، ج١٧ص٣٠٨) حول أحداث سنة (٣٤٦هـ - ٩٥٧م)، وهي: رواية طويلة حول الكوارث الطبيعية، التي وقعت في هذه السَّنة، ومن جملة كلامه: أنه خسف بمائة وخمسين قرية من قرى الرَّيِّ، وخسف بمكان يقال له: قصر شيرين()، وتقطع بالرَّيِّ جبل وكذلك جبال حُلْوَانَ، وغير ذلك.

٨- هلال ابن الصَّابِئ (ت٤٤٨هـ - ١٠٥٦م)

هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن هرون الصَّابِئُ الحَرَّاني أبو الحسن الكاتب، ولد سنة (٣٥٩هـ - ٩٦٩م)، وكان من كبار الكتاب، وقد ورث عن أبيه هذه الموهبة، أسلم وهو في أواسط عمره. صنَّف من الكتب التَّاريخيَّة الكثير مثل: كتاب التَّاريخ في أربعين مُجلَّدًا والكتاب مفقود لم يبق منه إلا جزء واحد فيه، كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، وقد طبع بعضه، وعنده كتب أخرى كثيرة(الخطيب البغدادي، ١٩٩٦، ج١٦ص١١٧؛ ياقوت الحموي، ١٩٩٥، ج٦ص٢٧٨٣؛ شاكر مصطفى،١٩٩٧، ج٢ص١٠٠).

اقتبس السِّبْط من كتبه عدداً من الرِّوايات، وهي مثل: سابقاتها على قسمين: الأوَّل: ما صرَّح به من أنه اقتبس منه، والثاني: ما يعتقد انه مأخوذ من هلال؛ للأسباب السَّابقة التي ذُكِرتْ في ثَابِت بن سِنَانٍ: فالسِّبْط في هذه الفترة اعتمد عليه كثيرًا في أكثر مرويَّاته في كتابه مرآة الزمان، كما اعتمد سابقاً على ثَابِت بن سِنَانٍ، في فترته، ويعتقد أنه قد نقل قسمًا من رواياته دون الإشارة إليه؛ ربَّما لأنه غيَّر في عباراتها، لكن مفهومها مطابق تماماً؛ لعدم وجود ذلك في المصادر التي سبقت السِّبْط واعتمد عليها، كما أشرنا إلى ذلك في: ثَابِت بن سِنَانٍ. أخذ السِّبْط منه خمس روايات(سبط، ٢٠١٣، ج١٧ص٤٢٧، ج١٧ص٥٠٨، ج١٨ص٦٧، ج١٨ص١٦٦، ج١٨ص٢٢٨): الرِّواية الأولى: حول أحداث سنة (٣٦٢هـ - ٩٧٢م)، ودخول

ملك الروم، إلى نَصِيْبِيْن. وفي رواية أخرى: حول مقتل عِزِّ الدَّوْلَة()؛ حيث أشار الى هلال.

وفي رواية أخرى: حول مدينة خِلَاط، عند ما استولى ملك الروم عليها وعلى ملاذكرد، وأرجيش، وأضافها إلى بلاده في سنة (٣٨٢هـ - ٩٩٢م). وفي رواية أخرى: حول أبي القاسم الدِّيْنَوَرِيِّ، يقول في ترجمته: وذكره هلال الصَّابِئ.

أمَّا الرِّواية الأخيرة: التي صرَّح السِّبْط باسم هلال الصَّابِئ فهي في أحداث سنة (٤٠٥هـ - ١٠١٤م) وهي رواية طويلة عن قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي()، وما دار بينه وبين امرأة في السنة التي حظر فيها الحاكم على النساء الخروج من منازلهن من حوار والنتائج التي ترتبت على ذلك الحوار.

وهناك روايات أخرى: يحتمل إنَّ السِّبْط أخذها من: هلال ابن الصَّابِئ، ولكن لم يصرّح باسمه، فعلى سبيل المثال: وفي أحداث سنة (٣٧٧هـ - ٩٨٧م) أورد السِّبْط رواية(سبط، ٢٠١٣، ج١٨ص٢٥): حول خروج أبي منصور قراتكين الجَهْشِيَارِيِّ()، والتَّوجُّه لقتال بدر بن حَسْنَوَيْه وما رافق ذلك وتفاصيل المعركة وهزيمة الجَهْشِيَارِيِّ، إلى آخر ذلك، هذه الرِّواية وان وردت في مصادر أخرى كالمنتظم والكامل فأنها تختلف عمَّا أورده السِّبْط مما يوضح إنَّ المصدر عند الثلاثة مختلف، يحتمل إنَّ السِّبْط قد أخذه من هلال، وهناك روايات أخرى متعلِّقة ببدر بن حَسْنَوَيْه والإمارات الكُرْدِية في هذه الفترة، يعتقد بأنه قد اقتبست من كتب هلال بن الصَّابِئ وصيغت بعبارات أخرى. أو أنه قد أخذ أجزاء من الرِّواية؛ لأن بعض تلك الرِّوايات؛ أمَّا تكون غير موجودة، أو تختلف عن روايات المؤرِّخين السَّابقين له().

٩- غَرْسُ النِّعمَة (ت٤٨٠هـ - ١٠٨٧م)

مُحَمَّدُ بنُ هِلَالِ بن المُحَسَّن بن إبراهيم أبو الحسن الصَّابِي، ويلقب: بغَرْسِ النِّعمَة. ولد سنة (٤١٦هـ - ١٠٢٥م). وهو من أسرة الكتاب الصَّابئة، له عدَّة كتب، منها: عيون التَّواريخ، وهو مفقود(ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٦ص٢٧٥؛ شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج٢ص١٠٤). اعتمد عليه السِّبْط كثيرًا في كتابه، وهو مكمل لتاريخ أبيه، كما يشير إليه السِّبْط، حيث يقول: ذيَّله على تاريخ أبيه، وذيَّل أبوه على ثَابِت بن سِنَانٍ، وهو ذيَّل على تاريخ الطَّبَرِيّ(سبط، ٢٠١٣، ج١٩ص٤١٩). واقتبس منه روايات عديدة، منها ما أشار إلى اسمه، ومنها ما لم يشر، اقتبس منه خمس روايات(سبط، ٢٠١٣، ج١٨ص٤٩٦، ج١٩ص٨٢، ج١٩ص٩٨، ج١٩ص١٢١، ج١٩ص٣٧٣)؛ أشار إليه عند سردها، ففي سنة (٤٤٨هـ - ١٠٥٦م) يقول: من أوَّل هذه السَّنة ابتدأ أبو الحسن الصَّابِئ، الكاتب تاريخه، وفي أوَّل نقل منه يشير إلى: أنه عقد عَمِيْدُ الملكِ، أَبُو نَصْرٍ مَنْصُوْر الكُنْدُرِيُّ، وَزِيْرُ السُّلْطَانِ طُغْرُلْبَكَ لتاج الملوك أبي كاليجار هزارسب الكُرْدِي، على ضمان البصرة والأهواز وأعمالها، لهذه السنة.

ونقل منه أيضا: ما يتعلَّق بمقتل إبراهيم بن ينال()، وأخويه: أحمد، ومُحَمَّد، على يد السلطان

وفي رواية أخرى: حول هزارسب أيْضًا في هذه السنة ومجيئه إلى السلطان في أحداث دخول البَسَاسِيرِي إلى بغداد.

ورِواية أخرى في سنة (٤٥٣هـ - ١٠٦١م) يقول: وقد حكى مُحَمَّد بن هلال الصَّابِي، في تاريخه: قضايا عجيبة، وهي رواية طويلة، وفي رواية أخرى: حول وفاة هزارسب وترجمته، نقله كلَّه من مُحَمَّد الصَّابِئ

والرِّواية الأخيرة: حول حوادث سنة (٤٧٦هـ - ١٠٨٣م)، وصراع تاج الدَّوْلَة تُتُش، ومسلم بن قريش()، الذي جمع الأكراد والعبيد المحيطين به، وما دار بينهم من قتال.

وهناك روايات أخرى يعتقد أنه قد أخذها من مُحَمَّد بن هلال، ولكنه لم يشر إلى ذلك؛ والسبب لأن تلك الأخبار؛ إمَّا غير موجودة في المصادر السابقة التي اعتمد عليها السِّبْط، أو موجودة ولكن باختلاف. وربما يدعم هذا الكلام، ما قاله شاكر مصطفى، عن كتابه: (التَّاريخ): وقد ضاع الكتاب كله فليس منه سوى مقتطفات عديدة لدى سِبْطِ ابن الجَوْزِيِّ، خاصة في مرآة الزمان، ثمَّ بعد ذلك يقول: ولدى ابن القفطي، وياقوت، وابن خلكان(التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص١٠٥)، فأكثرية تلك المقتطفات عنده، ونجد أنه اقتبس منه أخباراً قبل ذلك وأشار إليه، فهذا يعني: انه ربَّما أخذ منه ولكن لم يشر اليه.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، هناك أخبار متعلِّقة بهزارسب، في حوادث سنة (٤٤٩هـ - ١٠٥٧م) وما بعدها،غير موجودة في بقيَّة الكتب، وكذلك أخبار تتعلَّق بابن مروان في نفس السَّنة، من مسير السلطان إليه، ومحاولة ابن مروان الصلح،

وشفاعة هزارسب، أو الاتصال ببدر بن المهلهل الكُرْدِي، بشهرزور، والقيام بأعماله، وأخبار أخرى عن بدر بن المهلهل، وأخبار تتعلَّق بفضلويه بن علويه زعيم الرعاة الشوانكار. وحوادث أخرى قد وردت عنده، وعند سابقيه لم ترد على هذه الشاكلة(سبط، ٢٠١٣، ج١٩ص١٠، ص١١، ص١٢، ص١٣، ص١٥، ص١٦، ص١٧-١٨، ص٥٨، ص٦٠-٦١-٦٢، ص٧٢، ص٨٢-٨٥-٨٦-٨٧-٩٠).

١٠- ابن القادسي (ت٦٣٢هـ - ١٢٣٤م)

مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي القادسي الحنبلي الكتبي. كان رجلاً فاضلاً ذا اعتناء بالتَّواريخ والحوادث، صنَّف كتابين في التَّاريخ هما أخبار الوزراء، وكتاب الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر، قال السخاوي: بأنه من ذيول «المنتظم»، وقد رأيته وهو في مُجلَّدات. والكتابَان مفقودان(الذهبي، ١٩٩٣، ج٤٦ص١٢٠؛ السخاوي، ٢٠١٧م، ص٤٧٣؛ طلفاح، ٢٠٢١، ص١٩٦)،اعتمد عليه السِّبْط في كتابه، واقتبس منه ست روايات(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص٣٢٢، ج٢١ص٣٤٣، ج٢١ص٣٨٧، ج ٢٢ص١٨، ج٢٢ص٢٢، ج٢٢ص٦٩)، والغريب أنه نقده في رواياته الستِّ؛ فإما أنْ يقول: (هذا وهم منه) أو: (من هنات ابن القادسي)، وهو خلاف نقله عن المصنفين الآخرين؛ حيث يكون نقده لهم محدودا، وفي بعض المصنَّفات معدوما.

في الرِّواية الأولى: حول أحداث سنة (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) ويقول: بأن صلاح الدين خطب ببيت المقدس. وفي رواية أخرى: في نفس العام على ابن البُوْشَنْجِيِّ()، ومسيره إلى دمشق؛ فينقد ما في الرِّواية والكلام يطول في ذلك. وفي رواية أخرى: في أحداث سنة (٥٨٧هـ - ١١٩١م) في وقعة أُرسُوف، نقل عنه قوله: انهزم صلاح الدين في ذلك اليوم، ورجع في عسكر الموصل، ويقول: بأنَّه قتل من الكفار مائة وأربعين الفاً، وفي رواية أخرى: في ترجمة صلاح الدين، نقل عنه قوله: كان شاذي مملوك بهروز الخادم. ويردُّ عليه السِّبْط بقوله: وهذه من هنات ابن القادسي، ما كان شاذي مملوكا قط، وانما شاذي خدم بهروز، وفي رواية أخرى ضمن ترجمته أيْضًا، نقل عنه: أنه دفن معه سيفه. ويردُّ ذلك أيْضًا، والرِّواية الأخيرة حول الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، حيث نقل عنه في ترجمته سبب وفاته، والسِّبْط ينقده في ذلك أيْضًا ويخالفه.

١١- سعد الدين ابن شَيْخِ الشُّيُوْخ (ت٦٧٤هـ - ١٢٧٥م)

الشيخ الكبير سعد الدين خضر أبو سعد ابن شيخ الشيوخ تاج الدين، وهو أخو الشيخ شرف الدين ويسمى: مسعود بن عبد السلام. ولد سنة(٥٩٢هـ - ١١٩٥م) جمع تاريخاً في مُجلَّدين(الذهبي، ١٩٩٣، ج٥٠ص١٥١؛ الصفدي، ٢٠٠٠، ج١٣ص٢٠٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤ص١٣١). وكان معاصراً للسبط، وهو مثله قد أجازه ابن الجَوْزِيِّ، ولكنه كان أصغر من السِّبْط، واعتمد عليه ونقل منه في سنواته المتأخرة من سنة (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م) وبعد ذلك، ويبدو أنه قد رأى كتابه هذا وأخذ منه؛ لأنه لو سمع هذه الرِّوايات؛ لاستخدم الألفاظ الخاصَّة بالسماع في حال الحديث عنه، ولكنه قال: وذكر سعد الدين، ويقول: اسمه كاملاً، كما أنه حين ترجم لوالده، ذكر بأنه قد نقل تاريخ ولادته من خط ابنه: سعد الدين(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٨٤)؛ وهذا يدل أيْضًا على أنَّ سعد الدين، قد اكتمل كتابه وهو في منتصف عمره. وعاش بعد ذلك أعواماً عديدة دون أنْ يشار إلى تصنيف آخر له. فرواياته المقتبسة منه هي أربع روايات(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٦٠، ج٢٢ص٤٠٣، ج٢٢ص٤٠٤، ج٢٢ص٤٠٦): الرِّواية الأولى: في سنة (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م) وهي حول مقتل عماد الدين ابن شيخ الشيوخ، من قبل الملك الجواد وذكر سعد الدين القضية وكان حاضراً فيها كما ذكره السِّبْط، والرِّواية طويلة.

أمَّا الرِّواية الثَّانية: فهي حول شهاب الدين غازي، الذي ذكر حكاية لسعد الدين، ونقلها عنه السِّبْط، وهي حول طلب للكامل منه في سنة (٦٣٢هـ - ١٢٣٤م)

وفي رواية أخرى: نقل عنه قصيدة يرثي فيها الشهاب غازي، أمَّا الرِّواية الأخيرة، فهي حول مقتل أبي بكر الملقب بالعادل ابن الكامل، وقد نقل السِّبْط منه كيفية قتله من قبل الملك الصَّالح أيوب.

وهناك أعلام اعتمد عليهم السِّبْط، ونقل عنهم رواية واحدة، مثل: سيف بن عمر التميمي أو الضبّي الأسدي، تُوُفِّي

سنة (١٨٠هـ - ٧٩٦م) وهو إخباري كوفي له كتابان عن الرِّدَّة، والفتوحات، وكانت له كتب أخرى ولكن فقدت(شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج١ص١٨٠). نقل عنه السِّبْط، رواية: حول غنائم جَلُوْلاَءَ، ووقعة حُلْوَانَ(سبط، ٢٠١٣، ج٥ص٢٣٦-٢٣٧). وكذلك عن: السَّمْعَانِيّ عبد الكريم بن مُحَمَّد أبو سعد ابن السَّمْعَانِيّ المَرْوَزِيّ. تُوُفِّي سنة (٥٦٢هـ - ١١٦٦م) صنَّف عدداً من الكتب منها: كتاب الأنساب، وكتاب ذيل تاريخ بغداد، في عشرين مُجلَّدًا، لم يسلم منها إلا قسم محدود(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ص١٤٤؛ شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج٢ص١٠٧)، نقل منه السِّبْط رواية واحدة: حول يحيى بن علي أبو سعد الحُلْوَاني(سبط، ٢٠١٣، ج٢٠ص٢٠٣).

ونقل أيْضًا رواية عن: ابن المُنَادِي أحمد بن جعفر بن مُحَمَّد بن عبد الله أبو الحسين. ت(٣٣٦هـ - ٩٤٧م)، له كتاب التَّاريخ،له أكثر من (١٢٠) مصنَّفاً(الخطيب البغدادي، ١٩٩٦، ج٥ص١١٠؛ شاكر مصطفى، ١٩٩٧، ج٢ص٨٥). نقل عنه السِّبْط رواية واحدة: حول ابن قتيبة الدِّيْنَوَرِيّ، مبيِّنا سبب وفاته(سبط، ٢٠١٣، ج١٦ص١٣٢).

ثانياً: رواياته الشَّفهيَّة:

على الرغم من أنَّ سِبْط ابن الجَوْزِيِّ، اعتمد على كثير من المصادر المدوَّنة، إلا أنه مع ذلك أورد في كتابه عدداً كبيرا من الرِّوايات الشَّفهيَّة، والتي لها أهميَّة في توضيح عدد من الأحداث. ولا يخفى أنَّ السِّبْط بمكانته العلميَّة والاجتماعيَّة المتميِّزة التي أهَّلته إلى تكوين علاقات قويَّة مع نخبة المجتمع، سواء أكانوا: ملوكاً أو أمراء، قادة أو وزراء، أئمَّة أو علماء؛ يسّرت له الاستماع إلى كثير من الرِّوايات والأخبار من أصحاب الحدث، أو الذين عاشوه، خاصة وأنه قد عاش في فترة تاريخيَّة مُهمَّة مليئة بالأحداث وخاصة الحروب الصليبيَّة، وفي الحقيقة أنَّ تلك الرِّوايات تشكِّل أهميَّة للمؤرِّخ؛ باعتبارها طريقا من طرق التَّوثيق للحادثة، كما تزيد من درجة مصداقيَّته بالتأكيد على رواية الشَّاهد الذي عاصر الحدث؛ علماً بأنَّ رواياته لم تقتصر على الطَّبقة الخاصَّة فقط بل تعدّت إلى العامَّة أيْضًا، وقد وردت رواياته بألفاظ متعدِّدة ولكنها كلها تدل على السَّماع، فمثلا: يقول: اجتمعت في الموصل بالثِّقة ابن باز، أو: حكى لي المبارز سنقر الحلبي، أو قال لي المُعظَّم، وربما يأتي بالجمع فيقول: قال لي بعض الدَّماشقة، أو سمعت بعض عوامِّ بغداد، أو بلغني، أو جرت لي معه واقعة، أو قالوا، أو ذكر لي. وقد قسمتُ هذه الرِّوايات على الشَّكل التالي.

آ- روايات عن الملوك والأمراء والوزراء:

١-الملك المُعظَّم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أَيُّوب. (٦٢٤هـ-١٢٢٧م)

روى عنه عدداً من الرِّوايات، وهو أكثر مَنْ روى عنه. أوَّل رواياته عنه ضمن أحداث سنة (٥٩٥هـ - ١١٩٨م)، في ترجمة الملك العزيز في سنة وفاته، وعند ذكر حصار دمشق يقول: قال لي المُعظَّم عيسى، لما رجعوا من باب الفراديس، والرواية حول والده(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٧٠).

أمَّا الرِّواية الأخرى فهي ضمن أحداث (٦٠٩هـ - ١٢١٢م) وهي حول سَامَةَ الجَبَلِيّ، عندما كان في القاهرة، واستوحش من العادل، وأولاده، واتَّهموه بمكاتبة الظَّاهر فيقول: قال لي المُعظَّم: انه وجد له كتباً إليه وأجوبة؛ ويعتبرون هذا بمثابة الخيانة لهم(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص١٩١).

وفي رواية أخرى: في سنة (٦٠٠هـ - ١٢١٤م) يقول: حكى لي المُعظَّم عند حجِّه هذا العام، فحكى له صفة حجِّه وما فعل(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٠٠-٢٠١).

وفي أحداث سنة (٦١٥هـ - ١٢١٨م) روى عنه رواية ينصحه فيها؛ حيث انه بعد وفاة والده العادل، ردّ المُعظَّم المكوس والخمور، وما كان أبوه أبطله، فيقول السِّبْط: قلت له: قد خلفت سيف الدين غازي: ابن أخي نور الدين؛ فانه عند موت نور الدين فعل كذا. فيقول: (اعتذر بقلَّة المال، والْفِرِنْج)(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٣٣).

وفي أحداث سنة (٦١٦هـ - ١٢١٩م): نقل رواية من المُعظَّم عن دمياط()، بعد أخذها من قبل الْفِرِنْج غدراً، وما حلّ بأهلها من خراب ودمار، فيقول: بكى الكامل، والمُعظَّم بكاءً شديداً، ثمَّ قال لي المُعظَّم بعد ذلك، فنقل قول المعظم وما طلب منه الكامل(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٣٨).

وفي رواية أخرى: من العام نفسه حول حادثة جرت بين: زكيِّ الدِّين القاضي()، وستِّ الشَّام()، عندما أوصت بدارها

لتكون مدرسة، فأحضرت القاضي والشهود إلى منزلها، فعندما علم المُعظَّم بذلك نقم على القاضي؛ لأنه قام بذلك بدون معرفته، نقل السبط ما فعله المعظّم به، والحوار الذي جرى بينه وبين المُعظَّم ينهره على فعل ذلك(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٣٩-٢٤٠).

وفي رواية أخرى: في عام (٦٢٠هـ - ١٢٢٣م) عندما عاد الأَشْرَف، من مصر إلى الشَّام، والتقاء المُعظَّم به، وظهور الوحشة بين الأخوة: الكامل، والمُعظَّم، والأَشْرَف، ومسير الأَشْرَف خلسة، ووصوله إلى حَرَّانَ. يقول السِّبْط: قال لي المُعظَّم: أمَّا عندك خبر ما قد شنَّع عليَّ أخي؛ بأني أريد أنْ أمسكه. فيقول: والله ما خطر هذا ببالي أبداً، ولو أردت أنْ أمسكه؛ لمسكته فقد كان في الجَوْسَقِ().

وفي رواية في سنة (٦٢٢هـ - ١٢٢٥م) حول وصول خوارزم شاه جلال الدين، إلى دقوقا، وفتحه عنوة لهذا البلد، يقول السِّبْط: حكى لي المُعظَّم: وباختصار أن خوارزم شاه جلال الدين، طلب منه ان يتفق معه لقصد الخليفة وبيّن السبب، فقال المُعظَّم: فكتبتُ إليه: أنا معك على كلِّ أحد؛ إلا على الخليفة؛ فإنَّه إمام المسلمين) (سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٧٣).

وفي سنة (٦٢٣هـ -١٢٢٦م) عندما أرسل الخليفة الظاهر (٦٢٣هـ - ١٢٢٦م) محيي الدين ابن الجَوْزِيِّ، رسولاً إلى المُعظَّم ومعه الخلع، يقول السِّبْط: قال لي المُعظَّم: والرِّواية: على شكل حوار بين الاثنين ويطول هذا الحوار بينهم، وخلاصته:أن الرسول طلب منه الرجوع عن الخوارزمي، ورفض المعظم لأنه لا يثق بهم في إرسال النجدة له، حال قصد إخوته له، ويأتي بالشواهد على ذلك(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٧٨-٢٧٩).

وفي ترجمة المُعظَّم في سنة وفاته (٦٢٤هـ - ١٢٢٧م): كتب بعض ما جرى بينهما من حوارات سابقة؛ فيقول: بأنه عاتبه يوما لإسرافه الأموال من بيت المال، فكان جوابه بأنه يفدي المسلمين بالشيء اليسير، ويحفظ الخطير بالحقير، ويأتي بمثال على ذلك. كما كان الكلام على وصول خلعة الخليفة وقبله خلعة الخوارزمي ومشاورة السِّبْط له بلبس خلعة الخليفة أوَّلًا، ثمَّ يسترسل ويتكلَّم عن المأدبة التي أقامها لخاله، وحضوره تلك المأدبة، وما دار بينهما من حوار.

وينقل ما حكى له المُعظَّم عن موقفه، وما قام به عند ما علم أن الْفِرِنْج يقصدون القدس، في رواية طويلة(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٨٧-٢٩٣). ومن رواية أخرى: حول خوارزم شاه، أنَّ المُعظَّم كان يقول: ليس هو من بني سلجوق، الى آخر الرواية. وآخر رواياته له هي عن الملك الأَشْرَف، فيذكر في ترجمته له في سنة وفاته: إنَّ المُعظَّم قال له: أنا أخذت له حَرَّانَ والرُّهَا والشرق من أبي، وأنا جهزته من عندي بالمماليك والعدَّة والخيل، إلى آخر الرِّواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٥١).

٢- الملك الأَشْرَف موسى بن أبي بكر أبو الفتح. (٦٣٥هـ-١٢٣٧م)

روى السِّبْط عنه خمس روايات الأولى: في حوادث سنة (٦١٣هـ - ١٢١٦م) عندما نزل الأَشْرَف من خِلَاط إلى حَرَّانَ، يقول: وسألني الجلوس بجامع حَرَّانَ، فضُرِبتْ له خركاة() في الجامع، وكان يوماً مشهوداً، فذكر ما دار في المجلس ثم في الختام طلب من الأشرف الحج عن طريق بغداد، والاعتكاف بالرقة، بعد ذلك في أحداث آخر السنة يقول: وجهَّزني وعمل لي سبيلاً مثل سبيله(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٠٧).

والرِّواية الثَّانية: في أحداث سنة (٦٣٠هـ - ١٢٣٢م) عند فتح الكامل آمِد، وإخراج صاحبها الملك المسعود مودود بن الضَّالح()، وتسلم القلاع الى آخر الرواية. وفي السنة نفسها اورد رواية عن وفاة ابنة للأشرف فذكر كيفية دفنها وشراء تربة لها وما جرى بعد ذلك(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣١٨).

وفي رواية أخرى وأثناء الحديث عنه في ترجمته في سنة وفاته (٦٣٥هـ - ١٢٣٧م) يعد محاسنه، قال: صعدت إلى خِلَاط وجلست معه في القلعة يوماً، فعتب على أخيه المُعظَّم، في قضيَّة بلغته عنه، وقال: والله ما مددت عيني إلى حُرَمِ أحد لا ذكر ولا أنثى. ويورد أمثلة على ذلك في رواية طويلة تدلُّ على عفّة نفسه وحسن خلقه.

ثمَّ أورد رواية أخرى حول تقواه وورعه، فيقول: كنت عنده بخِلَاط؛ فجاءه النظام بن أبي الحديد()، ومعه نعل النبي (صلى الله عليه وسلم) فعندما علمنا بقدومه قال: يحضر؛ فلمَّا دخل عليه ومعه النعل، قام ونزل من الإيوان، وأخذ النَّعل فقبَّله ثمَّ وضعه على عينيه إلى آخر الرِّواية.

وقال أيْضًا: لما فارقت دمشق بسبب ما جرى في حديث القدس، وأقمت في الكَرَك، ثمَّ قدمت إلى دمشق مرَّة ثانية، فسُرّ بقدومي وزادني وأحسن إليَّ، وأعطاني خلعة سنيَّة الى آخر الرواية .

وفي رواية أخرى يقول: حكى لي الشيخ الفقيه أبو مُحَمَّد مُحَمَّد اليونيني ببعلبك سنة (٦٤٥هـ - ١٢٤٧م) عند عودتي من بغداد قال: حكى لي رجل فقير صالح من جبل لبنان، حيث قال: لما مات الأَشْرَف رأيته في المنام، فذكر أنه قد رآه مع جماعة من الأولياءالى آخر الرواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٥١ص٣٥٢-٣٥٣-٣٥٤-٣٥٥).

٣- المَلِكُ الظَّاهِرُ غَازِي بنُ صَلاَحِ الدِّيْنِ يُوْسُفَ بنِ أَيُّوْبَ صاحب حلب (ت٦١٣هـ-١٢١٦م)

سمع منه السِّبْط روايتين: الأولى: حول أخذ أنطاكية من الْفِرِنْج. وفي الرِّواية الثَّانية: وهي ضمن الكلام عن الملك المُعظَّم عيسى في ترجمته حين وفاته يقول: ولما اجتمعت بالملك الظاهر في سنة (٦١٢هـ - ١٢١٥م)، قال لي -والكلام في مدح الملك المُعظَّم-: والله هو واسطة العقد، وعين القلادة، ولولا مشاغلته بجهاد الأعداء لما قَرَّ لي بحلب قرار(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٠٣، ص٢٩٢).

٤- الملك العادل مُحَمَّد بن أَيُّوب بن شاذي بن مروان. (ت٦١٥هـ-١٢١٨م)

سمع السِّبْط منه رواية واحدة حول سنة ولادته حيث يقول: وسألته عن مولده فقال: فتوح الرُّهَا(). يعني سنة (٥٣٩هـ - ١١٤٤م)(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٣٠.).

٥- الملك الناصر بن الملك المُعظَّم عيسى.(ت٦٥٦هـ-١٢٥٨م)

روى عنه السِّبْط رواية واحدة وهي حول أحداث سنة (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م) حينما أعطى الكامل بيت المقدس للأنبرور، وتبعات ما جرى بعده، ذكر أنه بأشارة الملك الناصر قام بإلقاء كلمة مؤثرة، معها بعض الأبيات الشِّعريَّة حول ذلك، بحضور الناصر داود(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٩٦).

٦- الملك الصَّالح إسماعيل بن الملك العادل (ت٦٤٨هـ-١٢٥١)

روى عنه السِّبْط رواية واحدة حول أحداث سنة (٦٢٧هـ - ١٢٢٩م) حول صراع الملك الأَشْرَف والخوارزمي، والمعركة التي انتصر فيها الأَشْرَف واستعاد خِلَاط وغيرها،وقد ذكر الحادثة مفصلا. (سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٠٥).

٨- الملك الصَّالح أَيُّوب نجم الدين بن الكامل مُحَمَّد (ت٦٤٧هـ-١٢٤٩م)

سمع منه في رواية عدداً من الأحداث التي جرت في سنة (٦٣٧هـ - ١٢٢٩م)، واتِّفاق الصَّالح إسماعيل، وأسد الدين صاحب حمص، على مهاجمة دمشق، والخلاف الذي حصل بينهم، وبين الصَّالح أَيُّوب، واعتقاله والأحداث التي جرت بعد ذلك، وأدَّتْ إلى أنْ يعود إلى مصر، ويستلم سلطنتها.

وفي رواية أخرى: يتحدَّث عن بعض الواقعات التي جرت له خلال مسيره إلى مصر، وكذلك يتحدَّث عن ندم الناصر، على إخراجه من الحبس، وعزمه على حبسه ثانية، ويتكلم أيْضًاعمَّا جرى بينه وبين العادل، في رواية طويلة(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٦٥، ص٣٦٦، ص٣٦٧).

٩- الملك الكامل ناصر الدين مُحَمَّد بن الملك العادل (ت٦٣٥هـ-١٢٣٨م)

روى عنه السِّبْط رواية واحدة: حول الملك أسد الدين صاحب حمص، فيقول السِّبْط: كان بنو أَيُّوب يخافونه؛ لأنه كان يرى أنه الأحق بالملك منهم؛ الى اخر الرواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٦٩).

١٠- الأمير مبارز الدين() نقل منه السِّبْط ثلاث روايات سمعها منه: الأولى: في مدح صلاح الدين الأَيُّوبي وحلمه، حيث قال: وحكى لي المبارز سنقر الحلبي،وأورد الرواية. والثانية حول الملك العزيز عثمان بن يوسف صلاح الدين صاحب مصر.

والرِّواية الثَّالثة: في ترجمته: يروي عنه ويقول: كان جاري، وكان يزورني وأزوره، وكان دائماً يشكو إعراض المُعظَّم عنه، وما فعله به ولده ظهير الدين، وكيف خدعوه، إلى آخر الرِّواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٢، ص٦٨، ص٢٦٤).

١١- الأمير عماد الدين موسك(). روى عنه السِّبْط ثلاث روايات: الأولى: حول أحداث سنة (٦٢٨هـ - ١٢٣٠م) يقول حكى لي الأمير عماد الدين قال: لمَّا كُسِرَ الخوارزمي؛ دخل جماعة منهم العزيز عثمان، وغازي، وآخرون؛ فهنَّؤوا الأَشْرَف

بالكسرة، فقال: تهنِّؤوني بهذا، سوف ترون غِبَّ هذا، وحلف بالله أنَّ هذه الكسرة ستكون سببًا لدخول التتر إلى بلاد الإسلام، وقال: الخوارزمي كان سدًّا بيننا وبين يأجوج ومأجوج، فكان كما قال.

والرِّواية الثَّانية: حول مرض الأَشْرَف، وينقل كلامًا لعماد الدين، عمّا قاله الجمال مُحَمَّد بن أبي الفضل() للأَشْرَف في المرض الذي مات فيه.

والرِّواية الأخيرة رواية طويلة حول قتال الأَشْرَف والخوارزمي في سنة (٦٢٧هـ - ١٢٢٩م) نقل له صور حال المعركة وما قبلها، حيث يقول: وحكى لي الأمير عماد الدين موسك صورة الحال (سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣١٣، ص٣٥١، ص٣٠٤).

١٢- ابن السَّلار أمير الحاج() سمع منه رواية واحدة: حول ما جرى بينه وبين الملك الناصر بالكَرَك

وقيل: إنَّ الحسَّاد نقلوا عنه ما لا يليق. إلى آخر الرِّواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٤٣)

١٣- سعد الدين مسعود. روى عنه أربع روايات: فالرِّواية الأولى: عن المُعظَّم وحسن تدبيره، حيث قال: وحكى لي سعد الدين مسعود؛ والي الجَوْلان، وأورد الرواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٨٨).

وفي رواية أخرى: حول أبي بكر العادل بن الكامل،وكيفية وفاته يقول في ترجمته: ذكر سعد الدين مسعود في سنة (٦٤٦هـ - ١٢٤٨)وينقل عنه سبب الوفاة.(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٤٠٦)

وفي رواية ثالثة: عن مقتل توران شاه بن الصَّالح أَيُّوب، فذكر ما قاله سعد الدين مسعود بأنَّ المماليك اللذين أمرهم الصَّالح أَيُّوب، بخنق أخيه العادل في الحبس، سلَّطهم الله على ولده فقُتل أقبحَ قِتْلَة(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٤١٧).

والرواية الأخيرة، حول شهاب الدين غازي ذكر ما حكاه سعد الدين، قال: قطع الكامل الفرات سنة (٦٣٢هـ - ١٢٢٤م) بعسكر كبير فقال لي: تذهب وتخرب حصن منصور الى اخر الرواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٤٠٣).

١٤- مُحَمَّد بن أبي القاسم بن مُحَمَّد الأمير بدر الدين أبو عبدالله الهَكَّارِيُّ (٦١٤هـ-١٢١٧م)

نقل عنه السِّبْط رواية واحدة؛ يؤكِّد فيها على ورعه وتقواه، فيقول: كان ملازماً لمجالسي في القدس، وكان يتمنَّى الشَّهادة ويقول: ما أحسن وقع سيوف الكفَّار على أنفي ووجهي. فرزقه الله الشَّهادة(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٢٦).

١٥- المبارز المعتمد() (٦٢٣هـ-١٢٢٦م) نقل عنه السِّبْط روايتين: سمعهما منه الأولى: يقول فيها: وحكى لي وقال: عندما حرّم الملك العادل الخمر، يذكر له كيفية اكتشافه زُكْرَة خمر في طبل عند رجل.

وفي رواية أخرى يقول: حكى لي أنه ولي دمشق، أوَّل ولاية صلاح الدين، نيابة عن بدر الدين الشحنة، ثمَّ استقلَّ بعدها بالولاية إلى أنْ عُزِل(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٨١).

١٦- المَجْدُ البَهْنَسِيُّ() وزير الملك الأَشْرَف (٦٢٨هـ-١٢٣١م) نقل السِّبْط رواية واحدة: سمعها منه حول القاضي علاء الدين الكُرْدِي، قاضي قضاة الملك الأَشْرَف(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣١٤).

١٧- فخر الدين بن شيخ الشيوخ()(٦٢٨هـ - ١٢٣٠م) روى عنه السِّبْط رواية واحدة: سمعها منه وهي عن الملك الكامل، فيقول: قال فخر الدين: في حصار دمياط، وينقل ما دار بينهما من حوار(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٤٧)

١٨- ربيعة خاتون()(٦٤٣هـ - ١٢٤٥م) نقل عنها السِّبْط رواية حول زوجها: مظفر الدين كُوْكْبُرِي حيث قالت: كان ثوبه يساوي خمسة دراهم، وتكلمت عن زهده(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٢٥).

١٩- الأمير حسام الدين الهَذَباني() سمع السِّبْط منه رواية واحدة: في سنة (٦٤٣هـ - ١٢٤٥م) حول المُعظَّم توران شاه فيقول السِّبْط: حكى لي حسام الدين بن أبي علي إنَّ الملك الصَّالح نجم الدين أَيُّوب كان يكره مجيء ابنه المُعظَّم اليه(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٩٠).

٢٠- الأمير شمس الدين لؤلؤ(). روى عنه السِّبْط رواية واحدة: حول مقتل بركة خان الخوارزمي() في سنة (٦٤٨هـ - ١٢٥٠م)، فذكر كيفية قتله وقطع رأسه في المعركة الى اخر الرواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٤٠٠).

ب- العلماء والشعراء:

مسعود بن أبي الفضل أبي الفتح النقاش الشاعر الحلبي(). يقول السبط: اجتمعت بالشاعر الحلبي في حلب، وانشدني مقطعات من شعره وكتبها لي بخطه، ومن ضمنها قصيدة في مدح الأمجد(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص١٥٠-١٥٤).

تاج الدين الكندي. روى عنه السِّبْط رواية واحدة؛ فقال: وكان يحضر مجالسي بجامع دمشق، وحكى لي قال: كتبت إلى الملك الأمجد إلى بعلبك، وأورد أبياتًا من البسيط(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٠٩-٢١٠).

الشيخ جمال الدين الحصيري. نقل السِّبْط رواية واحدة سمعها منه وهي تتعلَّق بأحداث سنة (٦١٩هـ - ١٢٢٢م) عندما حجَّ من اليمن: الملك المسعود أقسيس بن الكامل، في عسكر عظيم فجاء إلى الجبل، وصعد اصحابه رافعين علم الكامل وعلمه، ومنعوا رفع علم الخليفة بسبب حادثة قديمة وذكر الرواية بكاملها(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٦١-٣٦٢).

ابْنُ الصَّلَاحِ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ الكُرْدِيُّ الشَّهْرُزُوْرِيُّ تَقِيُّ الدِّيْنِ. العالم المشهور نقل السِّبْط عنه رواية واحدة: فقال: زارني يوماً في أيام المُعظَّم، وقال: تسأله أنْ يعطيني مدرسة، وكان المُعظَّم يكرهه، فما زلت به حتَّى استصلحته له، يقول: فأخذ ابن الصلاح ينشدني في ذلك اليوم لغيره، من مجزوء الكامل. وأورد بيتين لذلك(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٣٩٣).

الكاتب المقدسي(). روى عنه السِّبْط رواية واحدة: فيقول: أنشدني قصيدة وكتبها لي بخطه، لمّا تفاقم ظلم السَّامري ونوّابه، ولوكتبت بماء الذهب على الأحداث لكان ذلك أقلّ من القليل، وقد أورد القصيدة وهي مؤلّفة من خمسة عشر بيتا(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٤٢١).

رواياته الأخرى :

وهذه الرِّوايات من مصادر مجهولة لم يذكر اسم المؤلف أو الكتاب، فقط يقول مثلا: وبلغني، وحكى لي، وذكر لي أو قالوا: أو سمعت وما إلى ذلك من الألفاظ التي تدل على السماع، وسنورد تلك الرِّوايات حسب تسلسل ورودها في الكتاب وعددها.

الرِّواية الأولى: حول القاضي القاسم بن يحيى ضياء الدين بن الشَّهْرُزُوْرِيُّ، كان قاضيا ببغداد وانتقل إلى دمشق فيقول السِّبْط: سمعت بعض عوام بغداد كان السبب في عزله أنه في أحد الأيام مسح القلم في شرابة الدواة، ولم يمسحه في الخرقة الزرقاء، التي عند الدواة، وبلغ ذلك الخليفة فعزله. (سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٦١-٣٦٢).

وفي رواية أخرى: حول الملك العادل، وقاضيه جمال الدين الحرستاني()، حيث يقول: حكى لي بعض الدماشقة إنَّ العادل سيف الدين كتب لأحد من رجاله الخاصين؛ كتابًا بالوصيَّة في حكومة بينه وبين رجل آخر، والرواية حول عدالة القاضي الحرستاني وزهده، وتأييد العادل له(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٢٤).

وفي رواية: عن عليٍّ الكُرْدِيِّ المُوَلَّه، يقول السبط عنه: صاحب كرامات؛ وأورد روايتين سمعهما عنه، حيث يقول: حكت لي امرأة صادقة، فذكرت كرامة له.

ويقول أيْضًا: حكى لي عبد الله صاحبي، قال: جعت يوما ولم يكن معي شيء، فاجتزتُ به، فدفع إليَّ نصف درهم، ثمَّ قال: هذا يكفي للخبز والقنبريس().

وفي رواية طويلة: من أحداث سنة (٦٢٦هـ ١٢٢٨م) وكيفيَّة زيارة الأنبرور إلى القدس، وقد سمح له الكامل بالزِّيارة، فقال: وقالوا: بدون تحديد شخص وأورد الرِّواية.(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٣٠٠)

والرِّواية الأخرى: حول أقسيس الملك المسعود بن الكامل، وما قام به من اِستيلائِه على أموال التجَّار في اليمن، فيقول: بلغني أنَّه كان ثقله في خمسمائة مركب، الى اخر الرواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٣٠٢).

ورواية أخرى: حول مقتل الملك الأمجد، حيث يقول: وذكر لي جماعة، فيتطرق الى كيفية قتله من الجماعة الذين حضروا الحادثة.(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٣١٠).

وفي رواية أخرى: حول مقتل خوارزم شاه يقول: وبلغني في مقتل خوارزم شاه، وجهٌ آخر، فيذكر كيفية قتله من قبل رجل كردي انتقاما لأهله(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٣١٢).

وفي رواية أخرى: يرويها عن الملك الكامل، يقول: بلغني أنه شنق جماعة من الأجناد على آمِد؛ لكونهم أخذوا أكياس شعير لشخص(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٢٤٦). والرِّواية مثالٌ على عدالته والأمن والاستقرار في عهده.

وهناك روايتان: قد رواهما السِّبْط بعد وفاة الكامل وما جرى بعد ذلك بين الناصر والجواد، ففي الرِّواية الأولى: يقول:

بلغني بـأنَّ الجـواد قـد فتـح الخزائـن وفـرَّق الامـوال، وأبطـل الخمـور والمكـوس ونفـى الخواطـئ، ويقـول: أقـام النـاصر بالقابون أياماً فعزمـوا عـلى القبـض عليـه؛ فرحـل، وبعـث إليـه عـماد الديـن بـن موسـك، في السِّر، فسـار في الليـل إلى عجلـون().

أمَّـا الثَّانيـة: فهـي حـول النـاصر بعـد خروجـه مـن عجلـون إلى غـزة، وخـروج الجـواد إليـه فيقـول السِّـبْط: بلغنـي أنـه قـال: أي: الجـواد للأشرفيَّـة، وأورد الرواية(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٤٨-٣٤٩).

وروايـة أخـرى: حـول ماجـرى بعـد وفـاة الأَشْرَف، فمـن جملـة مـا كتـب يقـول: وحـكى لي: إنَّ الصَّالـح أو ابنـه وقـف عـلى العُقَيْبـة، وأمـر الزَّرَّاقـين بحرقهـا فضربوهـا بالنَّـار، ويقـول: وقـد جـرت فيهـا فضائـح وقبائح(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٣٥٧).

وفي روايـة حـول اعتقـال عـز الديـن أيبـك، كـما يقـول: بتواطـؤ مـن ابـن مطـروح()،وكان ابـن جاريتـه المنتحـل قـد مـضى إلى الصَّالـح أَيُّـوب ووشى بـه. فقـال السِّـبْط: بلغنـي انـه قـال لأَيُّـوب: قـد بعـث امـوال أبي، إلى الحلبيـين، الى آخـر الرواية(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٤٠٢).

وفي روايـة: حـول أحـداث سـنة (٦٥٠هـ - ١٢٥٢م) عنـد وصـول التـتر إلى الجزيـرة فنهبـوا مَيَّافَارِقِيْن وديـاربكر، وصادفـوا قافلـة خرجـت مـن حَـرَّانَ إلى بغـداد؛ فنهبـوا أمـوالا عظيمـة وقتلـوا الكثـير، فيقـول: وحـكى لي: بعـض التجـار قـال: عـددت بـين رأس العـين وحَـرَّانَ عـلى جسر ثلاثمائـة وثمانـين قتيـلا في مـكان واحد(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٤٢١).

ثالثا- المشاهدة الميدانية:

المشـاهدة مـن المصـادر التَّاريخيَّـة المُهمَّـة التـي تضفـي عـلى الرِّوايـة تميـزاً ووثوقـاً عـن غيرهـا مـن المصـادر خاصـة وإنَّ تلـك الرِّوايـة تكـون وفـق رؤيـة وتجـارب، وشـعور مـن عاشـه، فالمـؤرِّخ الـذي يشـاهد الحـدث بـأم عينـه تكـون روايتـه أوثـق وأرجـح ممـن سـمعها مـن غـيره، أو نقلهـا مـن مصـادر أخـرى مدونـة، حيـث يعتـبر شـاهد عيـان عـلى الحـدث، ولكـن تحقيـق الضَّبـط والدِّقَّـة في اسـتخدام المصـادر عمومـاً وهـذا النـوع مـن المصـادر عـلى وجـه الخصـوص تختلـف مـن مـؤرِّخ لآخـر، فهنـاك ضوابـط خاصـة عـلى المـؤرِّخ اتباعهـا؛ لـكي تكتسـب روايتـه المصداقيَّـة المطلوبـة.

وسِـبْطِ ابـن الجَـوْزِيِّ الـذي عـاش في فـترة تاريخيَّـة مُهمَّـة، وعـاصر أشـخاصاً كثيريـن كانـوا أصحـاب حـدث، حيـث إنَّ منزلتـه العلميَّـة والاجتماعيَّـة أهّلتـه ليكـون قريبـا مـن اصحـاب القـرار في عـصره، سـواء أكان في بغـداد أم بـلاد الشَّـام ومـصر، ملـوكاً كانـوا أو أمـراء، قـادة كانـوا أو علـماء، كـما مكّنتـه مـن أنْ يسـمع ويـرى ويعيـش أحداثـا أصبحـت فيـما بعـد مـادة تاريخيَّـة دسـمة لكتابـه مـرآة الزمـان، ميّزتـه إلى حـدٍّ مـا عـن الآخريـن. وبالنسـبة للقسـم المتعلـق بنـا فقـد ضمـن السِّـبْط كتابـه هـذا عـدداً مـن الرِّوايـات عـن أحـداث عاشـها بنفسـه، وكان شـاهد عيـان عليهـا. وقـد اسـتخدم لأجـل ذلـك عـدَّة ألفـاظ أو مصطلحـات تـدل كلهـا عـلى المشـاهدة، فعـلى سـبيل المثـال يقـول: شـاهدت قلعـة ماردين، أو خرجـت إلى الغـزاة، كنـت معـه، وجلسـت عنـده، وكنـت قاعـداً إلى جانـب المُعظَّـم، واجتمعـت بالمُعظَّـم إلى غـير ذلـك، مـن الألفـاظ التـي تـدل عـلى الرؤيـة والمشـاهدة.

آ- مشـاهداته الميدانيـة في الجهـاد ضـد الصليبـين: لم يقـف سِـبْطِ ابـن الجَـوْزِيِّ عـلى الدعـوة للجهـاد ضـد الصليبـين، وحـث المسـلمين للانخـراط في صفـوف المقاتلـين والدفـاع عـن الإسـلام والمسـلمين؛ بـل تجـاوز ذلـك وشـارك بنفسـه في بعـض الهجـمات ضدهـم، فـكان شـاهداً عـلى تفاصيـل أحـداث تلـك المعـارك؛ ففـي أحـداث سـنة (٦٠٧هـ - ١٢١٠م) يقـول فيهـا: خرجـت مـن دمشـق إلى نابلـس للغـزاة، حيـث كان الملـك المُعظَّـم فيهـا أيْضًـا، ويصـف فيهـا جلوسـه في المسـجد، ويوضـح إنَّ عـدد الحضـور كان كبـيراً جـداً، وقـدَّر بثلاثـين الـف، ويقـول: كان يومـاً لم يـرَ في دمشـق مثلـه ولا بغيرهـا، وكان نسـاء دمشـق أرسـلن شـعورهن؛ لتسـتعمل أن قضـت الحاجـة في الأدوات اللازمـة للجهـاد، وقـد اجتمعـت عنـدي شـعور كثـيرة للتَّائبـين، يقـول: فعملـت مـن تلك الشـعور شُـكلا لخيـل المجاهديـن، وعندمـا صعـدت إلى المنـبر أمـرت بإحضارهـا وكانـت ثلاثمائـة شـكال فحملـت عـلى أعنـاق الرجـال، فلـمَّا رآهـا النَّـاس صاحـوا صيحـة عظيمـة، وقطعـوا مثلهـا كأن القيامـة قامـت ثـمَّ يسترسـل في ذلـك ويبـيّن بأنهـم جميعـا سـاروا إلى الكسـوة في نفـس اليـوم وكان معهـم خلـق كثـير.

ويؤكـد عـلى أنَّ خروجهـم كان احتسـابا للـه عـز وجـل؛ فوصلـوا إلى فيـق()، ويقـول: الطـير لا يقـدر أنْ يطـير مـن خـوف الْفِرِنْـج؛ كنايـة عـن الرعـب والخـوف الـذي أصـاب النَّـاس، وعـلى إثرهـا لا يسـتطيعون الخـروج، ثـمَّ سـاروا إلى أنْ وصلـوا إلى نابلـس،

وخـرج المُعظَّـم فالتقـى بهـم وسُرَّ بقدومهـم وجلـس بالجامـع، وأحـضر تلـك الشـعور فأخذهـا المُعظَّـم وجعلهـا عـلى وجهـه وهـو يبـكي، ويقـول: لم أكـن قـد اجتمعـت بـه قبـل اليـوم، ويصـف هـذا اليـوم باليـوم العظيـم، وبعـد ذلـك سـاروا نحـو بـلاد الْفِرِنْـج، ولم يفصِّـل في وقائـع المعركـة كثـيرًا؛ سـوى انـه يقـول: قامـوا بالهـدم والخـراب، وقطعـوا اشـجارهم وأسروا جماعـة منهـم، وقتلـوا جماعـة آخريـن. ويقـول عـن الْفِرِنْـج لم يتجاسروا أنْ يخرجـوا مـن عـكا، فأقامـوا هنـاك أيامـاً ثـمَّ عـادوا كـما قـال سـالمين غانمـين إلى الطـور المطـلّ عـلى النـاصرة()، والمُعظَّـم معنـا، ويقـول: بعـد ذلـك طلـب المُعظَّـم أخـاه الأَشْرَف، وشرع في عـمارة الطـور. إلى آخـر الرِّواية(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص١٧٢-١٧٣).

وضمـن أحـداث سـنة (٦١٤هــ - ١٢١٧م) يـورد روايـة عـن المعركـة التـي جـرت بـين المسـلمين والْفِرِنْـج حينـما وصلـوا إلى جِزِّيـن؛ ضيعـة قريبـة مـن مَشْـغَرى(). واراد ابـن اخـت الهنكـر قصـد صيـدا، ومنهـا قصـد الجبـل والميادنـة؛ فانتـصر المسـلمون عليهـم ففتكـوا بهـم قتـلا وأسرا؛ فيصـف ذلـك اليـوم فيقـول: جـاؤوا بالأسـارى إلى دمشـق، فـكان يومـا عظيما(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢١٩).

وفي أحـداث سـنة (٦١٦هــ - ١٢١٩م) وأثنـاء الحملـة الصليبيَّـة الخامسـة، قـال السِّـبْط: وأنـا بدمشـق كتـب لي المُعظَّـم كتابًـا بخطـه يقـول: قـد علـم الأخ العزيـز مـا جـرى عـلى أهـل دميـاط مـن الكفـرة وأهـل العنـاد، وطلـب منـي أنْ أحـرِّض النَّـاس عـلى الجهـاد، وهـذا إنْ دل عـلى شيء فأنمـا يـدل عـلى الثقـة المطلقـة للمعظَّـم بـه وقـد لبَّـى السِّـبْط هـذه الدعـوة، فجلـس في جامـع دمشـق وقـرأ كتابـه عليهـم، فأجابـوا بالسـمع والطاعـة، وقالـوا: نمتثـل لأمـر المُعظَّـم حسـب الاسـتطاعة، فلـمَّا حلّـت سـاعة المسـير وحـلّ ركابـه بالسـاحل؛ يقـول: وقـع التقاعـد مـن الأماثـل، بعـد ذلـك طلـب منـه المُعظَّـم؛ أنْ يسـير هـو إليـه إذا لم يخرجـوا معـه، يقـول: فخرجـت إلى السـاحل، وهـو نـازل عـلى قيسـاريَّة، فلـم يوضـح تفاصيـل المعركـة، لكنـه يقـول: فأقمنـا بهـا حتَّـى فتحهـا عنـوة، ثـمَّ توجّهنـا إلى الثغـر ففتحـه وهدّمـه، وأخـرب بـلاد الْفِرِنْـج ثـمَّ عـاد إلى دمشق(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٣٩).

وضمـن أحـداث سـنة (٦١٨هــ - ١٢٢١م) يقـول السِّـبْط: كنـت قـد خرجـت مـن دمشـق إلى حمـص لطلـب الغـزاة؛ لأنهـم كانـوا عازمـين عـلى الدخـول إلى طرابلـس، فهنـاك اجتمعـت بالملـك المُعظَّـم فقـال لي: قـد سـحبت الملـك الأَشْرَف إلى هنـا وهـو كاره، وكل يـوم أعتـب عليـه تأخـره، وهـو يـكاشر()، واني أخـاف مـن إنَّ الْفِرِنْـج يسـيطرون عـلى مـصر؛ وهـو صديقـك، وحثّـه عـلى الذهـاب إليـه وأعطـاه كتابًـا بخطِّـه، هنـا أصبـح دور السِّـبْط أكـبر، فمـن حـث النَّـاس عـلى الجهـاد والمشـاركة فيـه، إلى صلـح ذات البَـيْن ، بـين المُعظَّـم والأَشْرَف، إذ كان الأخـير عاتبـا عليـه، وقـام السِّـبْط بالمُهمَّـة وجـاء الأَشْرَف، ويقـول: سُرّ بذلـك المُعظَّـم سروراً عظيـماً، وكان الاتفـاق عـلى الدخـول في السـحر إلى طرابلـس، يشوشـون عـلى الْفِرِنْـج، ويقـول: أنطـق اللـه الأَشْرَف، مـن غـير قصـد وقـال للمعظـم: يـا خونـد() عـوض مـا ندخـل السـاحل ونضعـف عسـاكرنا وخيلنـا ونضيّـع الزمـان، مـا نـروح إلى دميـاط ونسـتريح، فأجابـه المُعظَّـم، والرِّوايـة طويلـة خلاصتهـا: أنهـم سـاروا إلى دميـاط وحاصروهـا، وخـاف الْفِرِنْـج مـن هزيمـة ثقيلـة، مـما أدّى بهـم إلى تسـليم دميـاط إلى الكامـل،(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢٥٧-٢٥٨).

ب- مشـاهداته الميدانيـة في حـوادث أخـرى: بعـد مشـاهداته للمعـارك التـي جـرت فيهـا ومشـاركته في تلـك الأحـداث، نتكلـم عـن المشـاهدات الأخـرى للسـبط ضمـن أحـداث متفرقـة وسـنوات متعـددة وهـي قليلـة قياسـاً برواياتـه الشَّـفهيَّة، وسـنتكلم عنهـا حسـب التسلسـل الزمنـي لتلـك الرِّوايـات.

الرِّوايـة الأولى: حـول قلعـة ماردِيـن، نقلهـا مـن جـده في «المنتظـم»؛ نقـلاً عـن أبي الحسـن المُنَـادِي، حـين يقـول: وفيهـا مـن العيـون العذبـة عـشرةُ أعـين، يقـول السِّـبْط معلقـاً عـلى هـذا القـول: هـذا وهـمٌ مـن ابـن المُنَـادِي فـإنَّ في القلعـة عينـاً واحـدة وهـي يسـيرة؛ فـإني شاهدتها(سـبط، ٢٠١٣، ج١ ص٩٦).

والرِّوايـة الثَّانيـة حـول الملـك الظاهـر غـازي بـن يوسـف صاحـب حلـب، فيقول: جلسـت عنـده في سـنة (٦١٢هــ / ١٢١٥م) وكان قـد أرسـل مـن قبـل الملـك الأَشْرَف، وقـال: كان إرسـاله في قضايـا لا يطلـعُ عليهـا كاتـب، والأَشْرَف كتـب بيـده كتابًـا إلى الظاهـر في ذلـك، فهـو لم يوضـح مـا دار بينـه وبـين الظاهـر، ولكـن تكلـم عـن ثلاثـة حـوادث وقعـت في مجلـس الظاهـر وكان حـاضراً فيهـا.(سـبط، ٢٠١٣، ج٢٢ص٢١٣).

وفي مجلس آخر حضره السِّبْط عند الملك الظاهر وفي ذلك يقول: وحضرنا عنده يوم الخميس في دار العدل،الى آخر الرواية(سبط، ٢٠١٣، ج ٢٢ ص٢١٣).

وفي رواية أخرى وضمن أحداث سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) ومن ترجمة الملك العادل سيف الدين يقول: وفي يوم وفاته: يصف تأثُّر الملك المُعظَّم بوفاته فيقول: كنت جالساً إلى جانب المُعظَّم عند باب الدار التي فيها الأيوان وكان واجماً، ولم أعلم بحاله؛ فلمَّا دفن أبوه قام قائماً ولطم على رأسه ووجهه وقام بشق ثيابه، وعمل له عزاء لمدة ثلاثة أيام في الأيوان الشمالي، الى آخر الرواية(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٢٣٢).

وفي رواية أخرى ضمن أحداث سنة (٦٢٤هـ / ١٢٢٦م) حول الملك المُعظَّم، يصف فيها ساعاته الأخيرة وما آلَ إليه، فيقول: وآخر عهدي به ليلة الجمعة التاسع والعشرين ذي القعدَّة؛ فقد دخلت عليه آخر النهار وكان عنده: ولده الملك الناصر داود، وأيْضًا كريم الدين الخِلَاطي()، ويعقوب الحكيم، وقد تغيَّرت أحواله وظهر الموت في محاسن وجهه المليح، فبكيتُ، بعد ذلك يقول: قال كريم الدين بات تلك الليلة التي مات في صبيحتها ساهراً، وكان قد قام قياماً عظيماً وكادت الشَّمس أنْ تطلع فلم يستطع أنْ يتيمم فصلى بالإيماء، وينقل أيْضًا بعض صفاته الحسنة ويمدحه في مواضع كثيرة، وينقل بعض لقاءاته معه في ترجمةٍ طويلة له(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٢٨٩).

وفي رواية أخرى في سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) في ترجمة الملك الأمجد بَهْرَام شَاه ابْنُ نَائِبِ دِمَشْقَ فَرُّوخشَاه ابْنِ الملكِ شَاهنشَاه بنِ أَيُّوْبَ صاحب بعلبك، قال السِّبْط: كان يتعزَّز على: الكامل والأَشْرَف والنَّاس بالمُعظَّم، وكان المُعظَّم يحبُّه ويحترمه ويعظمه، ولقد رأيته يقبل يده(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٣٠٩).

وفي رواية ضمن أحداث سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) وفي أحداث الوقعة التي حدثت بين الخوارزميين والصَّالح أَيُّوب وعسكر مصر من جهة، والصَّالح إسماعيل والناصر داود والمنصور صاحب حمص والْفِرِنْج من جهة ثانية، وما آلت إليه المعركة من هزيمة منكرة للصالح إسماعيل، واتباعه والْفِرِنْج حيث حصدتهم سيوف الخوارزميَّة والذين معهم، ويصفه باليوم العظيم ويقول: كنت يومئذٍ بالقدس، فأصبحتُ في غزة ثاني يوم الكسرة؛ فوجدتُ النَّاس يعدُّون القتلى بالقصب، فكانوا يقولون هم أكثر من ثلاثين ألفاً(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٣٨٢). وقد تحدَّث عن المعركة بالتفصيل.

وفي رواية أخرى حول أمة اللطيف()، التي كانت تخدم ربيعة خاتون بنت أَيُّوب، وبعد وفاتها لاقت أمة اللطيف الشدائد والأهوال من السجن والمصادرة وأخذ المال، وقد حبست في قلعة دمشق ثلاث سنين فيقول السِّبْط: دخلت مع نواب الصَّالح في قضيتها، وبالغت في أمرها، فأطلق سراحها، وتزوجت بالأَشْرَف ابن صاحب حمص. إلى آخر الرِّواية. فهو كان حاضراً في تلك القضيَّة، وسببًا في الإفراج عنها(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٣٩٢).

رابعاً: الوثائق

يعد من المصادر المُهمَّة في كتابة التَّاريخ، تضيف إلى المادة المكتوبة نوعاً من المصداقيَّة، وتساعد المؤرِّخ في تحليل الواقعة أو الحادثة، وتسهل له عمليَّة الوصول إلى الحقيقة، فالتوثيق بمعنى: الائتمان والتويثق أي: إحكام الأمر، فهو من الناحية اللغويَّة مشتق من لفظ: (وَثِقَ بِهِ يَثِقُ، ووَثُقَ الشَّيْءُ، بِالضَّمِّ، وَثاقةً فَهُوَ وَثِيقٌ أَيْ: صَارَ وَثِيقاً، والأُنثى وَثِيقة. التَّهْذِيبُ: والوَثِيقةُ فِي الأَمر إِحْكامه والأَخذ بالثِّقَةِ، وَالْجَمْعُ الوَثائقُ)(ابن منظور، ١٩٩٣، ج١٠ ص٣٧١). وعلى هذه الأسباب تبرز أهميَّة الوثيقة التَّاريخيَّة في البحث العلمي؛ لأنها تتضمن الإثباتات الدالة على كيفيَّة سير الأحداث في فترة من الفترات السابقة. فلا بُدَّ إذًا للمؤرِّخ أنْ يضمن دراسته أو كتابه الوثائق المطلوبة إن وجدت؛ لتضيف إلى الاخبار المرويَّة البراهين الواضحة والأدلة الثابتة، ما يمنح للدراسة أو الكتاب قيمتها، وللمؤرِّخ والباحث مصداقيته.

والغريب إنَّ السِّبْط في كتابه هذا قلَّ استخدامه وإيراده للوثائق، مع أنه كان من الشخصيات العامَّة والبارزة في المجتمع في عصره، وكانت مكانته كبيرة لدى الملوك والأمراء والعلماء وعامة النَّاس، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وربما يرجع ذلك إلى إنه لم يعتلِ مناصب إداريَّة مُهمَّة في الدَّوْلَة، كأسامة بن منقذ، وغيره من الذين أكثروا استخدام الوثائق في مصنَّفاتهم. ومع ذلك نستطيع أنْ نشير إلى بعض ما أورده وتصنَّف ضمن الوثائق، فمثلاً في أحداث سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) أورد كتابًا للزَّين بن نُجَيَّةَ الواعظ من مصر، إلى صلاح الدين الأَيُّوبي بدمشق، يشوّقه فيها إلى مصر فقال: (أدام الله أيام مولانا

السلطان الملك الناصر وقرَنها بالنصر والتأييد والتسديد، أترى ما يشتاق مولانا إلى مصر ونيلها وخيرها وسلسبيلها، ودار ملكه ودارة فلكه، وخليجها وبحرها ونشرها وأريجها وأنس إيناسها، ومقسم مقاسمها وقصور معزّها ومنازل عزها)، إلى آخر ما أورده وردَّ إليه السلطان فكتب له: (ورد كتاب الفقيه زين الدين، أدام الله توفِيقه، لا ريبَ إنَّ ساكن الشَّام أفضل وأنَّ أجر ساكنه أجزل، وإن زلاله البارد أعلى وأنهل، وإن القلوب إليه أميل، إنَّ الهواء في صيفه وشتائه أعدل، وإن الجمال فيه أجمل، وبه الجمال أكمل، وإن القلب به أروح، والروح به أقبل)، وهي رسالة طويلة أورد السِّبْط جزءًا كبيراً منها(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ ص٢٩٩).

وضمن أحداث سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) والنصر الكبير الذي حققه المُعظَّم توران شاه، على الأفرنج ، واثر ذلك وصل كتاب المُعظَّم إلى جمال الدين بن يغمور()، يقول فيها: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ)(سورة فاطر، أية ٣٤) (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)(سورة آل عمران، آية ١٢٦) ، وذكر بعدها عددا آخر من الآيات ثمَّ قال: (نبشّر المجلس السامي الجمالي، بل نبشّر الإسلام كافة بما منَّ الله به على المسلمين، من الظفر بعدوّ الدين؛ فإنه كان قد استفحل أمره، واستحكم شرّه، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا (وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ)(سورة يوسف، آية ٨٦) إلى آخر ما ذكره، وفيها: بيَّن أنهم جمعوا خلقاً عظيماً حيث جاؤوا من كل مكان، فلمَّا رآهم العدو طلب منهم الصلح فلم يقبلوا، إلى أنْ كانت نهايتهم الهزيمة، وقتل منهم خلقٌ كثير وأسر كذلك، ومعهم الأفرنسيس وتسلموا دمياط بعون الله وقوته(سبط، ٢٠١٣، ج٢٢ ص٤١٢-٤١٣).

وفي الحقيقة يمكن لرسائل القاضي الفاضل، أنْ تصنَّف ضمن الوثائق؛ لأنها مرسلة من أصحاب الشَّأن إلى نظرائهم، وفيها جملة من الأحداث التَّاريخيَّة المُهمَّة، ولكننا صنَّفنا تلك الرَّسائل ضمن المصادر المدوَّنة المعروفة؛ لكون ان تلك الرَّسائل قد جمعت في كتاب لذلك جعلنا تلك الرَّسائل ضمن تصنيف الكتب، ولكن هناك قسمٌ من الرَّسائل غير موجودة في كتاب رسائل القاضي الفاضل، بل في كتب أخرى وقسم من تلك الرَّسائل غير موجودة أصلا في الكتاب وهي ليست رسائل كاملة، ولكن ذكرت أجزاء منها ضمن سنوات (٥٨٣هـ/١١٨٧م) و(٥٨٩هـ/١١٩٣م)(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ ص٣٢٥، ج٢١ ص٣٣٦، ج٢٢ ص٢٤) ، فهذه الرَّسائل تعتبر وثائق مدونة؛ لأننا لم نعثر عليها في رسائل القاضي الفاضل، وربَّما هي ضمن رسائله المفقودة. وينطبق الحال نفسه على عماد الدين الأصفهاني الكاتب، حيث إنَّ رسائله تعتبر وثائق مُهمَّة، ولكن للسبب ذاته الذي ذكرناه، وورود تلك الرَّسائل في كتب العماد؛ فجعلناه ضمن المصنَّفات والكتب.

وتلك الرَّسائل مُهمَّة؛ لأنها تؤرِّخ وتوضِّح لفترة تأريخيَّة مُهمَّة خاصةً تلك التي بعد فتح بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، عندما أمر السلطان، العماد الكاتب بأن يزفَّ بشرى النَّصْر إلى بغداد، وكذلك في فتح مدينة اللاذقيَّة سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) وهي رسالة في وصف المدينة بعد فتحها، وما كانت عليها عماراتها، وفيها بعض أوصاف المدينة(سبط، ٢٠١٣، ج٢١ ص٣٢٢، ج٢١ ص٣٥٤) ، وكذلك فتوحات أخرى.